الكلمات البينات

في قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ ﴾

للعلامة مرعي بن يوسف الكرمي (ت١٠٣٣هـ).

تحقيق: د. عبدالحكيم الأنيس*

التعريف بالبحث:

على مدى أربعة عشر قرناً كان القرآن الكريم محور الدراسات الشرعية والعربية، وفي القرن الحادي عشر الهجري كان ممن شارك في هذه الدراسات العلامة مرعي بن يوسف الكرمي، فقد ألّف عدة رسائل خصصها للكلام على آية واحدة يتناولها بالتفصيل والتدليل، وصرف جزءاً من وقته لمعالجة الناسخ والمنسوخ، وسمت همته لتفسير القرآن كله ولم يُقَدَّر له إتمامه.

ومن رسائله المنوه بها هذه الرسالة «الكلمات البينات» وعنوانها ناطق بموضوعها ومضمونها، وقد جمع فيها رحمه الله ما يتعلق بهذه الآية الكريمة من مصادر متعددة، وأضاف إليها ما فتح الله تعالى به عليه.

والرسالة وإن غلب عليها الجمع إلا أنها جهد مشكور إذ ألّفت ما تفرق، ونظمت ما تناثر، وفيها نقول ذات قيمة، وحسبها أن تكون رسالة يمكن أن يفيد منها القارئ ـ سواء أكان مختصاً أم غير مختص ـ وأن تشد الناس إلى الإيمان والعمل الصالح من خلال التشويق إلى الجنة وزهرتها، وهي ـ إضافة إلى كونها لعالم جليل ـ صورة من صور التأليف التفسيري في ذلك القرن، ومن هنا ارتأيت خدمتها ونشرها، والله ولي التوفيق.

---

* باحث أول في دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي، ولد في مدينة حلب بسورية عام (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥)، وحصل على درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن من كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد بدرجة امتياز عام (١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، درّس في جامعتي صنعاء وبغداد وغيرهما، وله عدة بحوث ومؤلفات.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فهذه رسالة جديدة للعلامة الحنبلي الشيخ زين الدين مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي نزيل القاهرة، مضى على تأليفها قرابة أربعة قرون، يسر الله لي خدمتها وإخراجها فله الحمد والمنة، وقد أردت من ذلك المشاركة في نشر المعارف القرآنية وتقريبها إلى الناس، وتقريب الناس إليها، وخدمة عَلَم من أعلام فلسطين العزيزة، وهذه الرسالة تناول فيها مؤلفها تفسير آية جامعة تبين طريق النجاة وما يوصل إليه، ففيها منهج عمل، وغاية أمل، وهي تختصر وصف الدارين، وتظهر للإنسان ما ينبغي أن يكون عليه في هذه الدار، وما ينال من أجر كبير وفضل كثير إذا انقلب إلى تلك الدار الآخرة. والآية هي قوله تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾[البقرة: ٢٥].

فالطريق واضح: إيمان وعمل صالح، والنتيجة: جنات وأنهار، وثمار متجددة، وخدمة دائبة، وإكرام دائم، وأزواج هن غاية المنى، ونهاية الهوى، ويزين هذا كلّه خلود أبد الآبدين.

وقد طاف المؤلف بهذه المشاهد، وجال جولات مفيدة نافعة، وتكلم على هذه الآية كلاماً يشد القارئ ويجذب انتباهه - سواء أكان مختصاً أم غير مختص - فخدمة هذه الرسالة وإخراجها نافع إن شاء الله، وهي بعد هذا صورة من صور التأليف التفسيري في القرن الحادي عشر الهجري.

هذا وقد قدمت بين يدي النص مقدمتين: الأولى كلمة في ترجمة المؤلف، والثانية عن هذا الكتاب وعملي فيه.

المقدمة الأولى
كلمة في ترجمة المؤلف

كُتب عن العلامة مرعي الكثير، ولا سيما في هذه السنين التي شهدت توجهاً إلى طبع عدد من كتبه، فلا يخلو كتاب من ترجمة له، وإذ كان لكل دارس أسلوبه وذوقه وإضافاته فإني أورد هذه الكلمات، وأشير أولاً إلى أن أول من ترجم له ـ فيما أعلم ـ المحبي (ت:١١١١هـ) في كتابيه «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» و«نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة»، وعن خلاصة الأثر نقل الغزي (ت:١٢٠٧هـ) في «النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل»، وابن حميد (ت:١٢٩٥هـ) في «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة»، وقد قدم الغزي لذلك بمقدمة مدح فيها المترجم نثراً وشعراً، وأضاف ابن حميد قولين، أولهما في ذكر بعض من أثنى على كتابين له، و ثانيهما في تحديد تاريخ وفاته، ثم جاء المؤرخ محمد جميل بن عمر الشطي (ت:١٣٧٩هـ) فنقل في كتابه «مختصر طبقات الحنابلة» ترجمة الغزي كما هي لكنه حذف الأبيات الشعرية في مدح المترجم.

وفي العهد القريب ترجم له الزركلي (ت:١٣٩٦هـ) في «الأعلام» وكحالة (ت:١٤٠٨هـ) في «معجم المؤلفين»، فما قاله المحبي هو الأصل وتزاد عليه بعض الفوائد من هنا وهناك، وفي كتبه معلومات عنه، وحين يطبع مزيد منها تكون الصورة أجلى.

وخلاصة ترجمته أنه ولد في طور كرم ـ من قرى نابلس ـ ثم انتقل إلى القدس ثم إلى القاهرة واستوطنها إلى حين وفاته في شهر ربيع الأول سنة (١٠٣٣هـ)، ولم يُعلم تاريخ ولادته، ولا مدة عمره ولكن قد يؤخذ من وفيات بعض شيوخه وهم الإمام محمد بن أحمد المرداوي (ت:١٠٢٦هـ)[١] والإمام محمد حجازي (ت:١٠٣٥هـ)[٢] والإمام أحمد الغنيمي (ت: ١٠٤٤هـ)[٣] وكذلك من وفاة عصريه ومنافسه إبراهيم الميموني (ت:١٠٧٩هـ)[٤] تقدم وفاته وأنه لم يُعمر، ولم يعرف له سلف من أهل العلم، ولكن

(١) خلاصة الأثر ٣/٣٥٦.
(٢) المصدر السابق ٤/١٧٤.
(٣) المصدر السابق ١/٣١٢.
(٤) المصدر السابق ١/٤٥.

عرف فيما بعد ابن أخيه: أحمد بن يحيى (ت:١٠٩١هـ)[١] وحفيده: يوسف بن يحيى بن مرعي وقد وُصف بأنه مفتي الحنابلة بنابلس وتوفي سنة (١٠٧٨هـ)[٢]، وفي سنة (١١٤٣هـ) نسخ حفيد أخيه الشيخ يحيى: محمد بن يعقوب المقدسي الحنبلي كتاباً له هو «مسبوك الذهب»[٣].

وبعد استكمال الشيخ مرعي تحصيله، وحصوله على إجازات شيوخه تصدر للإقراء والتدريس بجامع الأزهر ثم تولى المشيخة بجامع السلطان حسن ثم أخذها منه عصريه العلامة إبراهيم الميموني قال المحبي: «ووقع بينهما من المفاوضات ما يقع بين الأقران، وألف كل واحد منهما في الآخر رسائل»[٤] .

ووجدته في صدر رسالته «تحقيق البرهان في شأن الدخان الذي يشربه الناس الآن»[٥] يقول: «إن الإنسان محل النسيان، لا سيما وقد تشتت البال من هم العيال، بسبب ضياع معلوم[٦] تدريسي بجامع طولون، بحيث ضاع المستحقون، ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون» وهذا يدل على أنه فَقَد أكثر من وظيفة، وأنه كان يعاني من فقر وشدة.

ومن منشآته التي نقلها المحبي في «نفحة الريحانة»[٧] فصل في شكوى حال غريبٍ يقول فيه:

«ويُنهى أن غين الغُربة قد أوقعته في هاء الهواء[٨]، وكاف الكربة رمته في ألف الأشجان، وأصبح صاد صبره مفقوداً، ونون نواله مطروداً، فعسى لحظة منك تخلصه من غَين غوائل الدهر، وتنقذه من قاف القهر».

---

(١) المصدر السابق ١/٣٦٧.

(٢) المصدر السابق ٤/٥٠٨.

(٣) انظر ص٧٢ منه.

(٤) خلاصة الأثر ١/٣٥٨ ولم نعرف من رسائل الشيخ مرعي سوى «النادرة الغريبة» كما سيأتي في مؤلفاته.

(٥) ص ٩٩-١٠٠.

(٦) المعلوم هو المرتب.

(٧) ٢/٢٤٩.

(٨) هكذا في الأصل «نفحة الريحانة»، وربما كان الصواب: الهوان. ليتم السجع مع: الأشجان.

وكذلك فصل في معاتبةٍ يقول فيه: «الصديق لفظ على الألسنة موجود، ومعناه في الحقيقة مفقود، فهو كالكبريت الأحمر، يُذكر ولا يبصر، أو كالعنقاء والغُول، لفظ يوجد بلا مدلول... وسئل بعض الحكماء عن الصديق فقال: اسم لا معنى له. وهذه شيم غالب أبناء هذا الزمان، من الأخلاء والإخوان، فمثلهم كمثل العَرَض لا يبقى زمانين، ويستحيل في أسرع من طرفة عين...».

وكأنه يتحدث عن نفسه وواقعه.

كان الشيخ مرعي منقطعاً للعلم وبذلك قطع وقته إفتاءً وتدريساً وتصنيفاً، وترك بعده أكثر من ثمانين مؤلفاً. وقد تواردت كلمات العلماء والمؤرخين على الثناء عليه وعليها، ووصفهِ بسعة العلم والتحقيق[١].

مؤلفاته:

عدد المحبي أسماء كتبه فبلغت «٦٨» أثراً، ثم قال: «وغير ذلك من فتاوى ورسائل نافعة تداولها الناس» وبذلك ترك الباب مفتوحاً. وقد اعتمد هذه القائمة مَنْ جاء بعده كالغزي وابن حميد والشطي. وحين ذكره إسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ) في هدية العارفين[٢] أورد مثل هذه القائمة ورتبها على حروف المعجم، وأضاف كتابين، لكنه جعل كتابين آخرين أربعة كتب ـ كما سيأتي ـ.

ثم أضاف الأستاذ الشيخ شعيب الأرناؤوط سبعة كتب[٣] والدكتور نجم عبدالرحمن خلف كتابين[٤] والدكتور عبدالله الغفيلي كتابين[٥] وذلك اعتماداً على وجودها

---

(١) انظر خلاصة الأثر ١/٣٥٨، ونفحة الريحانة ٢/٢٤٤، والنعت الأكمل ١/١٨٩ – ١٩٠ والسحب الوابلة ٣/١١١٨، والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لابن بدران (ت:١٣٤٦هـ) ص٢٢٦–٢٢٧ في الكلام على دليل الطالب وغاية المنتهى، وإعلان الحجة وإقامة البرهان على منع ما عمّ وفشا من استعمال عشبة الدخان للسيد محمد بن جعفر الكتاني ص١٥٧ في الكلام على رسالته «تحقيق البرهان في شأن الدخان».

(٢) ٢/٤٢٥ – ٤٢٦.

(٣) وذلك في مقدمته على أقاويل الثقات.

(٤) في مقدمته على الكواكب الدرية.

(٥) في مقدمته على دفع الشبهة والغرر.

مخطوطة، وجاء في الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط كتابان آخران[١]، فأصبح المجموع (٨٣) كتاباً وهو أعلى رقم إلى الآن، وسأبين هذه الإضافات في القائمة التي صنعتها ورتبتها على العلوم والفنون.

ووجدت محقق السحب الوابلة الدكتور عبدالرحمن العثيمين يقول إنه ذكر في مذكراته أشياء لم يذكرها بروكلمان في مكتبات خاصة، أو عامة لم تفهرس، فشارفت مئة كتاب[٢] ، وليته أعلن عن هذه الأشياء.

والآن أورد قائمة المحبي مضافاً إليها ما ذكرت مبيناً له، مرتباً لها على العلوم والفنون وأشير إلى المطبوع والمخطوط بـ (ط)، و(خ)، فإن لم يعرف عنه شيء تركته غفلاً.

ـ في التفسير:

١ ـ إتحاف ذوي الألباب في قوله تعالى: ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد: ٣٩]خ.

٢ ـ إحكام الأساس في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: ٩٦]خ.

٣ ـ أزهار الفلاة في آية قصر الصلاة.

٤ ـ البرهان في تفسير القرآن. لم يتمه[٣].

٥ ـ تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان. ط.

٦ ـ تحقيق الخلاف في أصحاب الأعراف. ط.

٧ ـ توقيف من كان عارفاً مؤمناً على قوله تعالى: ﴿**وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا...**﴾ [آل عمران: ٩٧]خ[٤].

٨ ـ فتح المنان بتفسير آية الامتنان[٥].

---

(١) ٢/٦٧٦-٦٧٧.

(٢) السحب الوابلة ٣/١١١٨.

(٣) وذكره المؤلف في أقاويل الثقات ص٦١ ونقل منه ما قاله في تفسير الآية (٢١٠) من سورة البقرة. وهذا يدل ـ على الأقل ـ أنه وصل إلى هذه الآية.

(٤) الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ٢/٦٧٦-٦٧٧

(٥) الآيات التي ورد فيها المن متعددة، ولا يمكن الجزم بواحدة منها.

٩ ـ فرائد فوائد قلائد المرجان«وهو مختصر قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن» .[١].

١٠ ـ قلائد العقيان في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ** ﴾ [النحل : ٩٠][٢].

١١ ـ قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن . ط .

١٢ ـ الكلمات البينات في قوله تعالى : ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾ [البقرة : ٢٥] . وهي رسالتنا هذه .

١٣ ـ اللفظ الموطا في بيان الصلاة الوسطى . ط[٣].

ـ في الحديث النبوي :

١ ـ تحسين الطرق والوجوه في قوله عليه السلام : «اطلبوا الخير عند حسان الوجوه»[٤].

٢ ـ الفوائد[٥] الموضوعة في الأحاديث الموضوعة . ط .

٣ ـ القول المعروف في فضائل المعروف : جمع فيه أربعين حديثاً في هذا الموضوع . خ[٦].

ـ في العقيدة ومسائلها وعلم الكلام :

١ ـ إرشاد ذوي الأفهام لنزول عيسى عليه السلام . خ[٧] .

---

(١) الفهرس الشامل ٢ /٦٧٧ . ومنه نسخة في التيمورية وجاء في فهرسها : فرغ من تأليفه سنة ١٠٥٣هـ . قال أصحاب الفهرس الشامل : «وهو لا يتفق مع وفاته» . قلت : فإن ثبتت هذه العبارة كان الاختصار لشخص آخر .

(٢) ذكر عنوان هذا في الفهرس الشامل ٢ /٦٧٧ هكذا : عرائس من الحور الحسان ونفائس لؤلؤ وجواهر وعقيان في الكلام على قول الملك الديان : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ .

(٣) من الممكن بعد نشر سائر آثار الشيخ مرعي التفسيرية، تناوله في دراسة علمية جادة موعبة، تحليلية ناقدة، ولعل الله يوفق لذلك بعض الطلبة النابهين .

(٤) أضافه الغفيلي في مقدمة تحقيق دفع الشبهة والغرر ص٣١ .

(٥) هكذا في الخلاصة والنعت والهدية . ولكنه في السحب : «الموائد» وهو أنسب لقوله «الموضوعة» من «الفوائد» .

(٦) أضافه الشيخ شعيب في مقدمة تحقيق أقاويل الثقات ص٣٦ . وقد ملك منه نسخةً العلامة الأديب جميل بن مصطفى بك العظم الدمشقي (١٢٩٠–١٣٥٢هـ)، ونقل ما وجده على غلافه من أبيات شعرية متنوعة في كتابه اللطيف «الصبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات» ص٦٦–٦٧ .

(٧) يحققه الدكتور عبدالله الغفيلي .

٢ ـ إرشاد ذوي العرفان لما في العمر من الزيادة والنقصان .ط[١] .

٣ ـ أرواح الأشباح في الكلام على الأرواح[٢] .

٤ ـ الأسئلة عن مسائل مشكلة[٣] .

٥ ـ أقاويل الثقات في تأويل[٤] الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات[٥] .ط .

٦ ـ بهجة الناظرين في[٦] آيات المستدلين[٧]: نحو عشرين كراساً يشتمل على العجائب والغرائب .

٧ ـ تنبيه الماهر على غير ما هو المتبادر ـ من الأحاديث الواردة في الصفات ـ .

٨ ـ توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان .خ .

٩ ـ توقيف[٨] الفريقين على خلود أهل الدارين .ط .

١٠ ـ دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر[٩] .ط .

١١ ـ رفع التلبيس عمن توقف فيما كفر به إبليس[١٠] .خ .

---

(١) ذكر في آخره ص٧٢ أنه لخصه من كتابيه بهجة الناظرين وأرواح الأشباح .

(٢) وذكره المؤلف في أقاويل الثقات ص١٩٢ .

(٣) أضافه الشيخ شعيب بناء على ذكر المؤلف له في كتابه أقاويل الثقات ص٧٥، ويفهم من سياق الكلام أنه في هذا الجانب .

(٤) سقط هذا اللفظ « تأويل » من السحب الوابلة .

(٥) هكذا جاء العنوان عند المحبي، وفي الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، وهكذا أثبته محقق الكتاب الشيخ شعيب، وإذا كان المؤلف لم يذكر في مقدمته ص٤٧ الجملة الأخيرة، فإنّ واقع الكتاب يشهد لها . وقد فصلها إسماعيل باشا البغدادي في كتابه إيضاح المكنون ١ / ٧ وجعلها كتاباً مستقلاً، وتابعه آخرون، ولا أرى عمله صحيحاً، وهذه الجملة «الآيات المحكمات والمتشابهات» لا تكفي عنواناً لكتاب، وليس فيها ما يدل على ذلك .

(٦) ذكره المؤلف في رسالته هذه في آخر الكلام على ﴿**تجري من تحتها الأنهار**﴾، وفي كتابه تحقيق الخلاف ص٥٩ بلفظ : وآيات . . .

(٧) حُقق في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حققه الباحث خليل إبراهيم أحمد .

(٨) في الخلاصة والهدية : توفيق . وهو خطأ والصواب مافي النعت والسحب : توقيف .

(٩) أضافه البغدادي في الهدية .

(١٠) انظر كلمة عما كفر به إبليس قالها القرافي ونقلها السيد علوي بن أحمد السقاف في كتابه الكوكب الأجوج بأحكام الملائكة والشياطين ويأجوج ومأجوج ص١٧٤ .

١٢ ـ فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر. خ[١] .

١٣ ـ مرآة[٢] الفكر في المهدي المنتظر.

ـ في الفقه:

١ ـ إيقاف[٣] العارفين على حكم أوقاف السلاطين.

٢ ـ تحقيق البرهان في شأن الدخان الذي يشربه[٤] الناس الآن. ط.

٣ ـ تحقيق الرجحان بصوم يوم الشك من رمضان. ط.

٤ ـ تهذيب الكلام في حكم أرض مصر والشام.

٥ ـ الحجج المبينة في إبطال اليمين مع البينة.

٦ ـ دليل الطالب [لنيل المطالب][٥]: نحو عشرة كراريس. ط.

٧ ـ رسالة في السماع. خ[٦] .

٨ ـ رياض الأزهار[٧] في حكم السماع والأوتار والغناء والأشعار. خ.

٩ ـ السراج المنير في استعمال الذهب والحرير.

١٠ ـ غاية المنتهى: قريب من أربعين كراساً، وهو متن جمع من المسائل أقصاها وأدناها، مشى فيه مشي[٨] المجتهدين في التصحيح، والاختيار والترجيح. ط.

١١ ـ المسائل اللطيفة في فسخ الحج إلى العمرة الشريفة.

١٢ ـ مقدمة الخائض في علم الفرائض.

---

(١) أضافه البغدادي في الهدية والإيضاح، وقال في الثاني ٢/١٨٣: «أولها [كذا]: حمداً لمالك الملك والملك، ومدبر الفلك والفلك الخ في مجلد» وهذا يعني أنه رآه، وبالتالي يكون له في هذا الموضوع كتابان، ولعل أحدهما مختصر من الثاني.

(٢) تحرف في السحب إلى: قلائد.

(٣) في الهدية: إيقاظ.

(٤) تحرف في الهدية إلى: يستعمله.

(٥) زيادة من الكتاب نفسه

(٦) أضافها الغفيلي، وربما كانت نفس التي بعدها.

(٧) في مقدمة أقاويل الثقات: الأطهار، ولعله خطأ مطبعي.

(٨) في السحب: بسنن.

ـ في الوعظ والتهذيب والأخلاق والإرشاد العام :

١ ـ إخلاص الوداد في صدق الميعاد[١] .

٢ ـ بشرى ذوي الإحسان لمن[٢] يقضي حوائج الإخوان .

٣ ـ بشرى من استبصر وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

٤ ـ تحقيق الظنون بأخبار الطاعون[٣] .

٥ ـ تشويق الأنام إلى الحج إلى بيت الله الحرام . خ .

٦ ـ دليل الحكام في الوصول إلى دار السلام[٤] .

٧ ـ سلوان المصاب بفرقة الأحباب .

٨ ـ شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور . ط .

٩ ـ ما يفعله الأطباء[٥] والداعون لدفع شر الطاعون .

١٠ ـ محرك سواكن الغرام إلى حج بيت الله الحرام[٦] . خ .

١١ ـ مسبوك الذهب في فضل العرب و[٧] شرف العلم على شرف النسب[٨] . ط .

١٢ ـ نزهة الناظرين في فضائل الغزاة والمجاهدين .

١٣ ـ نصيحة[٩] .

ـ في شؤون التصوف والسلوك :

١ ـ الأدلة الوفية بتصويب قول الفقهاء والصوفية[١٠] .

---

(١) سقط من مقدمة أقاويل الثقات .

(٢) في النعت والسحب : فيمن .

(٣) لعله جمع فيه ما ورد في فضائل الطاعون تصبيراً للناس وتسلية .

(٤) كأن هذا في الحض على العدل .

(٥) هل يدل هذا على أنه كان للشيخ مرعي إلمام بالطب؟ ربما، وكان المحبي قد قال في ترجمته في الخلاصة ١ / ٣٥٨ « كان إماماً محدثاً فقيهاً، ذا اطلاع واسع على نقول الفقه، ودقائق الحديث، ومعرفة تامة بالعلوم المتداولة » وكان الطب ـ بمفهومه آنذاك ـ مما يشارك فيه العلماء .

(٦) سقط من مقدمة أقاويل الثقات .

(٧) سقطت الواو من السحب .

(٨) في الهدية : الحسب . وهو خطأ .

(٩) أضافها الشيخ شعيب في مقدمة أقاويل الثقات ص٣٨ . ورأيت قسماً منها في آخر نسخة برلين من هذه الرسالة .

(١٠) وذكره المؤلف هو وسلوك الطريقة في أقاويل الثقات ص١١٠ .

٢ ـ تحقيق المقالة هل الأفضل في حق النبي: الولاية أو النبوة أو الرسالة.

٣ ـ جامع الدعاء وورد الأولياء ومناجاة الأصفياء. خ[١].

٤ ـ رسالة فيما وقع في كلام الصوفيين من ألفاظ موهمة للتكفير. خ[٢].

٥ ـ روض العارفين وتسليك المريدين[٣].

٦ ـ سلوك الطريقة في الجمع بين كلام أهل الشريعة وأهل الحقيقة.

ـ في السيرة والتاريخ والرجال:

١ ـ تلخيص أوصاف المصطفى وذكر مَنْ بعده من الخلفا. خ.

٢ ـ تنوير[٤] بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين. ط.

٣ ـ الروض النضر في الكلام على الخضر. خ.

٤ ـ الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية. ط[٥].

٥ ـ الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية. ط.

٦ ـ النادرة الغريبة والواقعة العجيبة ـ مضمونها الشكوى من عصريه الشيخ إبراهيم الميموني والحط عليه ـ.

٧ ـ نزهة الناظرين في تاريخ مَنْ ولي مصر من الخلفاء والسلاطين. خ.

ـ في النحو والصرف والبلاغة:

١ ـ إرشاد من كان قصدَهُ [إعراب][٦] لا إله إلا الله وحدَهُ.

---

(١) أضافه الشيخ شعيب ص٣٥.

(٢) أضافه كذلك الشيخ شعيب ص٣٥، وورد في مقدمة الكواكب الدرية ص٢٦ كتاب بعنوان: فم الوكاء في كلام السفيان من ألفاظ المهملات في التكفير. [كذا] والظاهر أنهما واحد، ولعل لهذه الرسالة صلة بالأدلة الوفية أو سلوك الطريقة. انظر سياق ذكرهما في أقاويل الثقات ص١٠٩–١١٠.

(٣) جعله البغدادي كتابين، وتابعه آخرون، ولا أرى هذا صحيحاً، فالتعبيران في منحى واحد. ومن عادة المؤلف السجع في العناوين، والمزاوجة في التعبير، ولا يتم هذا بفصلهما.

(٤) تحرف في السحب إلى: تنويه.

(٥) أضافة الدكتور نجم ص٢٥ وكان قد حققه وطبعه.

(٦) سقطت هذه الكلمة من الخلاصة والهدية، واستدركتها من النعت الأكمل ص ١٩١ وقد تحرف اسم هذا الكتاب في عدد من المراجع.

٢ ـ دليل الطالبين لكلام[١] النحويين. خ.

٣ ـ قرة عين الودود بمعرفة المقصور والممدود.

٤ ـ القول البديع في علم البديع[٢].

٥ ـ المختصر في علم الصرف. خ[٣].

ـ في الأدب والشعر:

١ ـ بديع الإنشاء[٤] والصفات في المكاتبات والمراسلات. ط.

٢ ـ تسكين الأشواق بأخبار العشاق.

٣ ـ الحكم الملكية والكلم الأزهرية.

٤ ـ ديوان شعر[٥].

٥ ـ غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح. ط[٦].

٦ ـ لطائف[٧] المعارف.

٧ ـ منية المحبين وبغية العاشقين.

٨ ـ نزهة المتفكر.

٩ ـ نزهة نفوس الأخيار ومطلع مشارق الأنوار. خ[٨].

ـ في شؤون السياسة والحكم:

١ ـ قلائد العقيان في فضل سلاطين آل عثمان. خ.

---

(١) في السحب الوابلة فقط: لمعرفة كلام.

(٢) وذكره المؤلف في أقاويل الثقات ص١٥٧.

(٣) أضافه الشيخ شعيب ص٣٧. ولعل له صلة بالرقم (٣).

(٤) تحرف في الهدية إلى: الأشياء.

(٥) في غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح، والكواكب الدرية للمؤلف، وخلاصة الأثر، ونفحة الريحانة، والنعت الأكمل، ومقدمة أقاويل الثقات، نماذج من شعره فعد إليها إن شئت. وشعره متفاوت، فيه الجيد والمتوسط والمتكلف، ويمكن أن يكون هذا موضوع بحث.

(٦) أضافه الشيخ شعيب ص ٣٥، وقد تحرف «غذاء» إلى خداع.

(٧) سقطت هذه الكلمة من الهدية.

(٨) أضافه الشيخ شعيب ص ٣٨.

٢ ـ المسرة [١] والبشارة في فضل السلطنة والوزارة. خ.

وبعد: فمن خلال هذه المحاور العشرة وتعداد المؤلفات يلحظ ما يلي:

١ ـ سعة دائرة الشيخ مرعي في العلوم الشرعية والعربية.

٢ـ كما يُلحظ أنَّ كتبه قريبة من واقع الناس واهتماماتهم.

٣ـ وهي إلى صغر الحجم أقرب، وهذا يوفر لها الرغبة بها والإقبال عليها وسهولة مطالعتها.

٤ ـ وأنه رزق القبول فيها، يدل على هذا قول المحبي عنها[٢]: «فسارت بتآليفه الركبان، ومع كثرة أضداده وأعدائه[٣] ما أمكن أن يطعن فيها أحد، ولا أن ينظر بعين الإزراء إليها».

٥ ـ وأنه كان يكرر بعض عناوينه، ولا أدري لماذا؟

٦ ـ وأنه كان يكتب في الموضوع أكثر من كتاب، ولا يبعد أن تكون هذه المكررات مختصرات مما ألفه أولاً، وذلك لتسهيل الإفادة منها، أو مختصرات ثم وسع القول فيها.

٧ ـ إن تأليفه عن فضل العرب في ظل الحكم التركي يدل على ما للعرب في نفسه، وكتابته عن شرف العلم على شرف النسب في الكتاب نفسه يدل على توازنه واعتداله وحسن تصرفه. إلى غير ذلك من الملحوظات.

المقدمة الثانية:

هذه الرسالة وعملي فيها

ـ موضوعها ومنهجها:

موضوع هذه الرسالة ـ كما سبق ـ تفسير آية قرآنية وهي الآية (٢٥) من سورة البقرة وقد جزأها المؤلف أحد عشر جزءاً، وتكلم عليها جزءاً جزءاً، وقدم لذلك ـ بعد الديباجة ـ بمقدمة ثم ختم كتابه بخاتمة.

تناول المؤلف في ديباجته سعة معاني القرآن وأنه جنح «في الكلام على هذه الآية لمجرد الظاهر، إذ لكل آية من المعاني ما تضيق به الدفاتر».

(١) تحرف في السحب إلى المعرة!

(٢) خلاصة الأثر ١/٣٥٨.

(٣) قف وتأمل!.

وتناول في المقدمة مناسبة هذه الآية لما قبلها، وأبان في ذلك عن فهم وتتبع وحسن تدبر.

ثم دخل في موضوعه مازجاً بين النحو والإعراب واللغة والقراءات والأحاديث والآثار، ناقلاً ما يقتضيه المقام، معرجاً على فوائد، مستطرداً إلى ماله تعلق بألفاظ الآية ومعانيها ـ وإن كان هذا التعلق أحياناً بعيداً ـ وختم بحديث ذبح الموت.

وانصب جهد المؤلف في جمع شتات متعلقات الآية، وحَرْث ما في التفاسير والمصادر الأخرى، وجاء بنقول ـ معزوة وغير معزوة ـ نافعة في هذا المجال، وهذا مما يسوغ خدمتها وإخراجها، إضافة إلى فائدتها العامة في مجموعها. وقد وُفق المؤلف في اختيار الموضوع وفي جمع مادته وعرضه، وقدم للناس رسالة عَمَلية نافعةً تحض على الإيمان والعمل الصالح من خلال التشويق للجنات، وأنهارها وثمارها، وحورها وسائر أمورها.

ـ عنوانها:

سماها المحبي ومن نقل عنه كالغزي وابن حميد والشطي، والبغدادي في إيضاح المكنون «الكلمات البينات في قوله تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾، وهو العنوان الذي في نسخة برلين، قال ناسخها العلامة المحقق الشيخ عبدالقادر الصفوري[1] على غلافها: «رسالة لطيفة تتضمن فوائد شريفة، وبشارات بخيرات حسان في منازل مخلدة منيفة، رأيت بخط مؤلفها تسميتها على ظهر أول صحيفة: «الكلمات البينات في قوله تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ**﴾.

وسماها البغدادي في هدية العارفين والزركلي في الأعلام «الكلمات السنيات» وبلفظ «السنيات» جاء العنوان في نسخة دار الكتب المصرية وتتمته: «في آية ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾». وكذلك في نسختي الظاهرية وعارف حكمت وتتمته: «في قوله تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ**﴾».

واعتمدت تسمية نسخة برلين لأني اتخذتها الأصل، وربما كان المؤلف عدّل العنوان

(١) ترجمته في خلاصة الأثر ٢/ ٤٦٧-٤٦٩ وفيها أنه دمشقي وأنه «كان فقيهاً مفسراً محدثاً أصولياً نحوياً» وأنه «سافر إلى الروم ومكث بها زماناً ولم يحصل على أمانيه فورد دمشق».

في إخراجه الأخير لهذه الرسالة، وقد عد بعض الأساتذة هذه الرسالة رسالتين نظراً لاختلاف هذين اللفظين[١] .

ـ تاريخ تأليفها :

يبدو لي أنَّ تأليف هذه الرسالة مرّ بمرحلتين الأولى في سنة ١٠٢٤هـ ، ونسخة دار الكتب المصرية منقولة عن هذه النسخة[٢]، وكانت مختصرة جداً، ثم أعاد المؤلف النظر فيها وزاد عليها زيادات كثيرة، وقد ظهرت هذه الزيادات في نسخ الظاهرية وعارف حكمت وبرلين، وتميزت نسخة برلين ـ كما مرّ معنا ـ بأمور جعلتني أميل إلى أنها الإخراج الأخير وهي منقولة من نسخة المؤلف المؤرخة بـ ١٠٢٨هـ.

ـ مصادره فيها :

رجع المؤلف إلى مجموعة من المصادر صرح ببعضها وأغفل بعضاً، وقد يصرح بالمؤلف ولا يذكر كتابه المقصود، وقد يبهم اسم القائل أصلاً، وقد ينقل من كتاب مصرحاً أحياناً ومغفلاً له أحياناً أخرى، وبينت هذا في الحواشي ما وسعني ذلك .

أ ـ المصادر التي صرح بأسمائها :

١ ـ الإحياء للغزالي .

٢ ـ تهذيب الأسماء واللغات للنووي .

٣ ـ تفسير المفتي أبي السعود العمادي، وقد يكتفي بقوله « المفتي »، والنقل منه بتصريح وإغفال .

٤ ـ شرح صحيح مسلم للنووي .

ـ تفسير السمرقندي : ذكره في نسخة الظاهرية وعارف حكمت، ولم أعثر على ما نقل منه فيه، وقد عدل عن ذكره في نسخة برلين إلى قوله : « وفي بعض التفاسير » .

٥ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم .

٧ ـ بهجة الناظرين وآيات المستدلين، للمؤلف .

٨ ـ الكشاف للزمخشري، وقد لا يصرح به لشهرته، والنقل منه بتصريح وإغفال .

---

(١) مقدمة أقاويل الثقات ص٣٧ و٤٠ ومقدمة الكواكب الدرية ص٢٧ .

(٢) مما يستغرب أنه ذكر فيها كتابه « توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين » مع أننا نجد في آخر هذا الكتاب أنه فرغ منه في أواسط ذي القعدة سنة (١٠٣٢هـ) . وتفسير هذا أنه ألفه قبل سنة ١٠٢٤هـ ثم أخرجه مرة أخرى في التاريخ المذكور .

وقد ذكر « التوقيف » هذا في كتابه « دفع الشبهة والغرر » ص١٢٧ مع أنه فرغ منه في آخر شعبان سنة ١٠٣٢ .

٩ ـ تفسير ابن عادل (من أهل المئة الثامنة)، سمّى المصدر مرة وأغفله وأغفل المؤلف مرات.

٨ ـ تفسير القرطبي.

١٠ ـ توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين، للمؤلف.

ب ـ المصادر التي صرح بأسماء مؤلفيها:

١ ـ ابن الخازن: ـ هكذا سماه والمعروف أنه الخازن[1] ـ ونقل من تفسيره لباب التأويل.

٢ ـ الواحدي: ونقل من تفسيره الوسيط.

٣ ـ أبو حيان: ويريد تفسيره البحر المحيط، وقد لا يصرح به أصلاً.

٤ ـ البغوي: ويريد تفسيره معالم التنزيل.

٥ ـ ابن تيمية: ويريد رسالته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وغيرها.

٦ ـ ابن الخطيب: ـ سماه هكذا مرتين تبعاً لابن عادل ـ ويريد الإمام الرازي في تفسيره، وقد نقل منه مصرحاً ومغفلاً.

٧ ـ القرطبي: ويريد كتابه التذكرة.

٨ ـ المنذري: ويريد كتابه الترغيب والترهيب.

٩ ـ ابن حزم: ولعله يريد كتابه المحلى.

١٠ ـ ١١ ـ الشيخان: ـ البخاري ومسلم ـ.

ونقل عن النحاس والفراء ومكي ولم أهتد إلى مصادر نقله عنهم.

جـ ـ مصادر أغفلها تماماً:

١ ـ المواقف للعضد الإيجي.

٢ ـ فتح الباري لابن حجر.

٣ ـ الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، وأستطيع أن أقول: إن أغلب الأحاديث والآثار منقولة منه وأنه لم يعد إلى المصادر مطلقاً.

٤ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم.

٥ ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، وقد نقل منه قائلاً: قال النحويون!

٦ ـ زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي[2].

---

(١) اقرأ ترجمته في طبقات المفسرين للداودي ٢ / ٤٢٦ واسمه علي بن محمد بن إبراهيم.

(٢) كنت كتبت هنا في مصادر أغفلها: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، واحتملت أنه لم يعد إليه، وإنما نقل ما نقله هنا من اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، إذ أخبرني الشيخ طه محمد فارس ـ

٧ ـ التبيان للطوسي ـ وربما نقل عنه بواسطة ـ.

د ـ نقول أبهم أسماء قائليها أو ناقليها :

كأن يقول : قال بعض العلماء أو قال آخرون، أو بعض المفسرين، أو المفسرون، أو قال المنطقيون، أو الخطيون وهكذا، ومثل هذا كان منه في كتبه الأخرى(١).

وبعض هذه الإبهامات صرح بها كما في نسخة ب إذ قال : «قال ابن تيمية» بدل قوله : «قال بعض المحققين» في ع وظ .

وهناك أقوال كذلك أوردها ولم يذكر من أين نقلها كبعض النقول عن السلف .

وأقول أخيراً : ليت المؤلف صرح بموارده ومصادره، فذلك أولى وأجدى(٢) ، وأنفع في مجال التوثق والتوثيق، وإن كان الإغفال ـ بكثرة أو بقلة ـ سمة غالبة على كثير من المؤلفين، وقد يُعتذر له ولهم بأنهم كانوا يحفظون ما يقرأون، فإذا جاؤوا إلى التأليف كتبوا من ذاكرتهم(٣) ، أو أنهم تعمدوا الإبهام حفظاً لكتبهم من السرقة والسراق(٤)، وهو داء وبيل، قديم حديث ـ كما هو معلوم ـ.

النسخ المعتمدة :

وقع لي من هذه الرسالة صور عن أربع نسخ وهي كالآتي :

١ ـ نسخة دار الكتب المصرية (٢٤٣ مجاميع) :

وهي في (٧) أوراق، و خلاصتها في (٦)، في كل صفحة (٢٥) سطراً كتبها أحمد بن عوض المقدسي الحنبلي، وفرغ منها نهار الأحد آخر شهر شعبان سنة (١١١٨هـ)، وقال في آخرها : «قال مؤلفه رحمه الله رحمة واسعة الحقير مرعي الحنبلي المقدسي : فرغت من وضع هذه الفوائد آخر رجب بالجامع الأزهر سنة أربع وعشرين وألف . ومن خطه نقلت » .

أن ابن عادل ضمنه تفسيره، وهو قد خبر اللباب لاشتغاله بتحقيق تفسير سورتي الأنفال والتوبة منه لنيل شهادة الماجستير، والآن بعد أن وقفت على تفسير هذه الآية من اللباب جزمت بهذا الاحتمال، ولذلك لم أذكره .

(١) انظر على سبيل المثال : تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان ص٦٤ .

(٢) مما يذكر هنا أن كتابه غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح يشترك مع «المراح في المزاح» لبدر الدين الغزي (ت٩٨٤هـ) في أكثر من « ٥٠ » نصاً، ومع ذلك لم يذكره إطلاقاً، وقد أتى محققه السيد بسام الجابي بما يدل على اطلاعه عليه . انظر مقدمته على غذاء الأرواح ص٢٠–٢١ .

(٣) أفدت هذا من الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات مشافهة .

(٤) انظر ما قاله السيوطي في مقامته : الفارق بين المصنف والسارق (ضمن مقامات السيوطي) ٢ / ٨٢٠– ٨٢١ و ٨٤٢ – ٨٤٣ .

وقد خلت هذه النسخة من كثير مما في النسخ الأخرى، وسيأتي معنا في نسخة برلين أن المؤلف انتهى من تأليف الرسالة سنة (١٠٢٨هـ)، وتفسير هذا أن هذه النسخة هي الوضع الأول، ثم زاد عليها المؤلف زيادات كثيرة. وعلى هذه النسخة تعليقات بخط الناسخ ختمت بـ «مصـ في تفسيره» والظاهر أنه يعني المصنف، وقد أردت إثبات هذه التعليقات لولا أن أطرافها قد ذهبت في التصوير!، ورمز هذه النسخة (د).

٢ ـ نسخة مكتبة عارف حكمت في المدينة المنورة (٢٧/ ٨٠/ ٣ مجاميع):

وهي في (٧٢) ورقة من القطع الصغير والخط الكبير ، وعدد الأسطر (٩)، وهي مزخرفة ومذهبة الإطار ومضبوطة بالشكل أحياناً ـ مع أخطاء فيه ـ.

وجاء في أولها: «برسم سيدنا ومولانا شيخ الإسلام، ملك العلماء الأعلام، مادة علوم الدين، ومفتي فرق المسلمين، مفرد الزمان إلا أنه القائم مقام الجمع، المستغرق لأوصاف الإنسان عند كل منطق وسمع، الذي ما أجرى جياد علومه إلى غاية إلا كانت مطلقة العنان، ولا أخبر عن فضله مَنْ رآه إلا تمثل بقوله: ليس الخبر كالعيان، مفتي السلطنة الشريفة: أسعد أفندي أسعده الله في الدارين آمين».

ولم يذكر في آخرها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ إلا أن المكتوبة برسمه مفتي السلطنة أسعد أفندي توفي سنة (١٠٣٤هـ) وقد تقلد الإفتاء أول مرة سنة (١٠٢٤هـ)[١]، فهي بين هذين التاريخين، وعلى هذه النسخة سبع تعليقات بخط مغاير ختمت ست منها بـ «محرره»، وواحدة بـ «كذا قال بعض الفضلاء» وكلها بخط واحد، وقد أثبتها جميعها. ورمزت لها بـ (ع). ووصول هذه الرسالة إلى عاصمة الدولة إما لشهرة المؤلف، وإما لتعمده إرسالها.

٣ ـ نسخة الظاهرية في دمشق (١٨٩٠ مجاميع):

وتقع في (١٤) ورقة، في كل صفحة (٢٣) سطراً، وخطها عادي، وعليها آثار مقابلة ولكن سقط منها ما يقارب الصفحة، وفيها أخطاء، وليس فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، ومصورتها في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، ورمزت لها بـ (ظ).

٤ ـ نسخة برلين (ضمن مجموع أيضاً):

وتقع في (٢٠) ورقة، في كل صفحة (١٩) سطراً، كتبها العلامة عبدالقادر الصفوري (١٠١٠-١٠٨١هـ) ، وتمت مساء الخميس ... شهر جمادى الآخرة سنة (١٠٦٦هـ) في إحدى مدارس السلطان سليمان بالقسطنطينية من خط مؤلفها. ففي

(١) انظر ترجمته في خلاصة الأثر ١/ ٣٩٦-٣٩٨.

الأصل: تم بخط مؤلفه سنة (١٠٢٨)، ثم أورد كاتبها نصيحة للمؤلف قال إنه وجدها بخط الأصل الذي نقل منه الرسالة المتقدمة.

وبمقابلة هذه النسخ بعضها ببعض ترجح عندي أن نسخة برلين هي الإخراج الأخير لهذه الرسالة، فقد تميزت بوجود نقل عن الشافعي وزيادة جمل خلت منها بقية النسخ، وفيها كشف لأسماء مبهمة، وتعديل لبعض العبارات، ولذلك اعتمدتها أصلاً، واستدركت ما سها عنه الناسخ من النسخ الأخرى، ورأيت عليها تعليقات للناسخ فأثبتها معزوة إليه، ورمزت لها بـ(ب)[1].

وكان منهجي في التحقيق كالآتي:

- اعتمدت نسخة برلين أصلاً، وأثبت أرقامها، وقابلت بقية النسخ بها، وأتممت ما سقط منها سهواً من الناسخ، وأشرت إلى بعض الفوارق، مستقصياً كل ما يتعلق بالأصل فقط، كما أني لم أستوعب ما خلت منه النسخة د، و لا الإشارة إلى أخطاء النسخ لعدم أهمية هذا في مثل هذه الرسالة.

- وضعت لها علامات «التفهيم»[2]، لتيسير القراءة، وفصلت بين كل جزء من أجزاء الآية والكلام عليها بفاصل.

- عزوت الآيات والأحاديث إلى أماكنها، وخرجت ما لم يخرج منها.

- عزوت كذلك النقول إلى أصولها ومصادرها، وتتبعت المؤلف في نقله، وبينت ما نقله بدون عزو، ولم يكن قصدي إلا معرفة القائل الأول، والكشف عن إضافة المؤلف، وما سكتُ عنه لم أجده - حسب بحثي الآن -.

- عرفت ببعض الأعلام الذين رأيت حاجة للتعريف بهم، وشرحت من الكلمات ما يلزمه شرح، وتممت مقاصد الكتاب بما بدا لي نافعاً ولم أثقل، وكشفت بعض الأوهام.

- أثبت التعليقات التي رأيتها في حواشي النسختين ع، ب، وميزتها بنجمة قبل رقم الحاشية، وعلقت على ما لزمه تعليق منها.

---

(١) لم يذكر في الفهرس الشامل من هذه النسخ سوى نسختي دار الكتب المصرية وبرلين. هذا وفي التيمورية رسالة في تفسير هذه الآية ﴿**وبشر**...﴾ ولكنها مجهولة المؤلف، ولم تذكر ديباجتها لنعلم هل هي رسالتنا هذه أو غيرها. انظر الفهرس الشامل ٢/ ٩٤٩.

(٢) أي علامات الترقيم، وهذه التسمية مستفادة من الأستاذ الشيخ محمد عوامة مكاتبة.

وفي الختام أدعو بدعوة الإمام ابن جرير:

«اللهم وفقنا لإصابة القول في محكمه ومتشابهه، وحلاله وحرامه، وعامه وخاصه، ومجمله ومفسره، وظاهره وباطنه، وتأويل آيه وتفسير مشكله، وألهمنا التمسك به والاعتصام بمحكمه، والثبات على التسليم لمتشابهه، وأوزعنا الشكر على ما أنعمت به علينا من حفظه والعلم بحدوده، إنك سميع الدعاء، قريب الإجابة، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليماً»(١).

شكر وتقدير

أشكر أعمق الشكر وأصدقه كلاً من:

١ ـ الدكتور نجيب عبدالوهاب مدير عام مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي لإمداده لنا بمصورة عن نسخة الظاهرية.

٢ ـ والدكتور عبدالرحمن المزيني مدير عام مكتبة الملك عبدالعزيز في المدينة المنورة، لموافقته على تصوير نسخة عارف حكمت.

٣ ـ والدكتور حازم سعيد حيدر الباحث في مركز الدراسات القرآنية في مجمع الملك فهد لطبع المصحف بالمدينة المنورة لتفضله بتصوير نسخة من مصورة برلين المحفوظة في مكتبة الجامعة الإسلامية.

٤ ـ والسيد محمود السيد أحمد لسعيه في الحصول على مصورة نسخة دار الكتب المصرية.

٥ ـ والشيخين بلال صفي الدين وطه محمد فارس لتكرمهما بتصوير تفسير الآية ٢٥ من البقرة من «اللباب» لابن عادل ـ نسخة الأحمدية بحلب ـ.

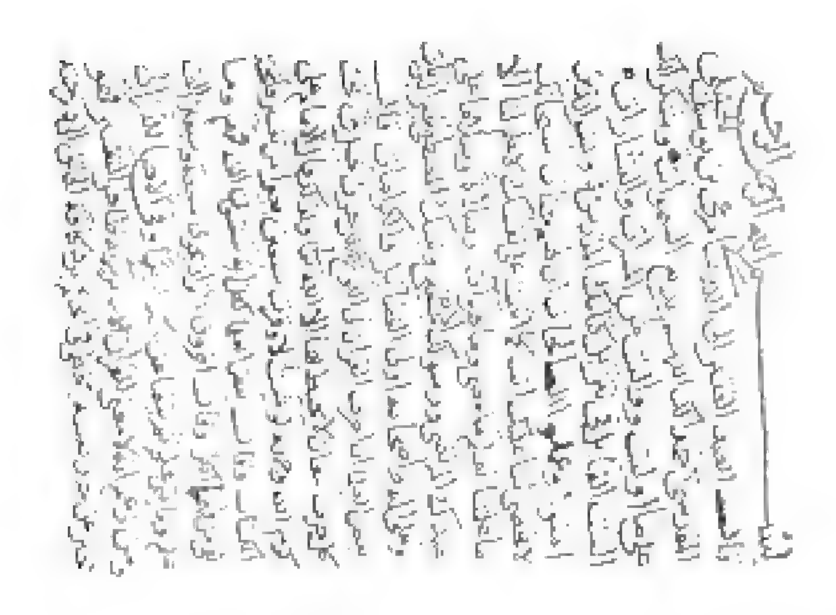
---

(١) تفسير الطبري ١/٦.



الصفحة الأولى من نسخة الظاهرية

الصفحة الأولى من دار الكتب المصرية



الصفحة الأولى من نسخة برلين



الصفحة الأولى من نسخة عارف حكمت

[و ٢٥]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد الفقير إلى الله تعالى مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي:

حمداً لك اللهم بديع السموات، وشكراً لك على ما أوليت وواليت من المسرات والبشارات، ألست القائل في تنزيل كتابك[١] المقدس: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾[البقرة:٢٥] سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، لا علم لنا إلا ما علمتنا، تعلم ما مضى وما هو آت، وصلاة وسلاماً على عبدك المرتضى ورسولك المجتبى ونبيك المصطفى خير البريات، وعلى آله وأصحابه أولي الفضائل والكرامات.

أما بعد: فهذه [٢] فوائد مشرقات، وفرائد متفرقات، بعد التفرق مجتمعات، في الكلام على قول رب السموات: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ بحسن عبارات، ورمز إشارات، يلذ بمعانيها مُعانيها، ويظفر[٣] بما فيها موافيها، جنحت في الكلام على ذلك لمجرد الظاهر، إذ لكل آية من المعاني ما تضيق به الدفاتر، فإنّ كلام الله كلام معجز أنيق[٤]، وبحر عميق، لا نهاية لأسراره وعلومه، ولا غاية لمنطوقه ومفهومه، ولا إدراك[٥] لحقائق معانيه، ولا وصول لتركيب مبانيه، قال بعض العلماء[٦] : إن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ، كل حرف كجبل ق[٧] ، تحت كل حرف معان لا يحيط بها إلا الله تعالى. ولذلك قال الإمام علي كرم الله وجهه[٨]: لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب[٩].

(١) في ظ وع: بقائل في تنزيلك.

(٢) من هنا إلى قوله: «قال بعض العلماء» ساقط من ب.

(٣) في ع: ويطمئن.

(٤) أنيق: حسن معجب. القاموس ص١١١٧.

(٥) في ع: درك.

(٦) لم أعرفه، وفي «قوت القلوب» لأبي طالب المكي، الفصل (١٦) ١/٥٨: «ويُقال: إن كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف، وإن الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتي إسرافيل، وهو ملك اللوح المحفوظ، فيرفعه فيقله بإذن الله عز وجل ورحمته، إذ كان الله تعالى أطاقه ذلك لما استعمله به». ومثل هذا يحتاج إلى سندٍ وثيق.

(٧) ينظر الكلام على جبل ق في: معجم البلدان ٤/٢٩٨،والقاموس المحيط (قوف) ص١٠٩٥، والمختصر في علم التاريخ للكافيجي ص٨٦-٨٧.

(٨) هذا القول والقولان بعده من إحياء علوم الدين ١/٢٨٩ الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي.

(٩) قال الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٤/٥١١-٥١٢: «نقله صاحب «القوت»، وابن أبي جمرة في

وقال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم، وما بقي من فهمها أكثر[١] .

وقال آخرون: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم، ومئتي علم، ثم يتضاعف[٢] ذلك أربعاً[٣].

وفي «الإحياء»[٤] للغزالي: «ومَنْ زعم أنه لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه، وهو مصيب في الإخبار عن نفسه، مخطئ في الحكم برد كافة الخلق إلى درجته، التي هي حده ومَحَطُّه، بل الأخبار والآثار تدل على أن في [معاني] القرآن

- «شرحه» على «المختصر» قال: وبيان ذلك: أنه إذا قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ يحتاج إلى تبيين معنى الحمد، وما يتعلق بالاسم الجليل الذي هو الله، وما يليق به من التنزيه، ثم يحتاج إلى بيان العالم وكيفيته على جميع أنواعه وأعداده، وهي ألف عالم: أربع مئة في البر، وست مئة في البحر، فيحتاج إلى بيان ذلك كله.

فإذا قال: ﴿الرحمن الرحيم﴾ يحتاج إلى بيان الاسمين الجليلين، وما يليق بهما من الجلال وما في معناهما، ثم يحتاج إلى بيان جميع الأسماء والصفات، ثم يحتاج إلى بيان الحكمة في اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين دون غيرهما.

فإذا قال: ﴿مالك يوم الدين﴾ يحتاج إلى بيان ذلك اليوم، وما فيه من المواطن والأهوال وكيفية مستقره.

فإذا قال: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ يحتاج إلى بيان المعبود، وجلاله، والعبادة وكيفيتها وصفتها وآدابها.

فإذا قال: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ إلى آخر السورة يحتاج إلى بيان الهداية ما هي، والصراط المستقيم وأضداده، وتبيين المغضوب عليهم والضالين وصفاتهم، وتبيين المرضي عنهم وصفاتهم وطريقتهم، فعلى هذه الوجوه يكون ما قاله [الإمام] علي من هذا القبيل» انتهى بتصحيح وإضافة. وانظر: قوت القلوب لأبي طالب المكي الفصل (١٦) ١/ ٦٠، و«بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها» لابن أبي جمرة ٣/ ٢٠٣، في شرح حديث الإسراء والمعراج. ونقلُ الزبيدي بتصرف وحذف.

(١) أصله في «قوت القلوب» ١/ ٦٠ وأوله: «قال بعض علمائنا»، قال الزبيدي في الإتحاف ٤/ ٥٢٨: «يعني به أبا محمد سهل بن عبدالله التستري رحمه الله، وأورده أيضاً ابن سبع في شفاء الصدور».

* (٢) في ب: حاشية: لعل وجه المضاعفة المذكورة أن القرآن له ظهر وبطن وحد ومطلع. كاتبه [الصفوري].

(٣) في «قوت القلوب» آخر الفصل (١٧) ١/ ٦٩ ونقله الزبيدي في الإتحاف ٤/ ٥٢٨: «وأقل ما قيل في العلوم التي يحويها القرآن من ظواهر المعاني المجموعة فيه أربعة وعشرون ألف علم، وثمان مئة علم، إذ لكل آية علوم أربعة: ظاهر وباطن وحد ومطلع.

وقد يقال: إنه يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومئتين من علوم، لأن كل كلمة علم، وكل علم عن وصف، فكل كلمة تقتضي صفة، وكل صفة موجبة أفعالاً حسنة، وغيرها على معانيها، فسبحان الفتاح العليم».

وانظر ما نقله ابنُ العربي عن العلماء في كتابه قانون التأويل ص٢٢٦–٢٢٧، ويشار إلى أن الزبيدي أورد هذا النص في «الإتحاف» ٤/ ٥٢٨ ولكنه عزاه إلى ابن العربي، وليس الأمر كذلك.

(٤) ١/ ٢٨٩، والنقل بتصرف يسير، وكلمة [معاني] مستدركة منه.

متسعاً لأرباب الفهم». ففيه رموز وإشارات، ومعان وعبارات، وتلويح ودلالات، يختص بدركها أهل الفهم من ذوي العنايات.

فنقول في الكلام على هذه الآية بحسب الظاهر[١]، ونحن بالعجز والتقصير معترفون، ومن بحر كرم الله مغترفون: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾.

مقدمة

في مناسبة هذه الآية لما قبلها[٢]

اعلم ـ أيدك الله سبحانه ـ أنّ الله سبحانه مدح المؤمنين من أول السورة إلى قوله ﴿**الْمُفْلِحُونَ**﴾[البقرة:٥] وذم الكافرين في آيتين، أولهما ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ إلى قوله: ﴿**عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾، ثم ذم المنافقين في ثلاث عشرة آية، أولها: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ**﴾ إلى قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم**﴾ ثم لما مدح المؤمنين وذم الكافرين والمنافقين كأنه قيل: هذا المدح والذم لا يستقيمان إلا بتقديم الدلائل على إثبات التوحيد والنبوة والمعاد، فإنَّ أصول الإسلام هي هذه الثلاثة، فلهذا السبب بيّن سبحانه وتعالى هذه الأصول بالدلائل القاطعة[٣]، فبدأ أولاً بإثبات الصانع وتوحيده، / وبيّن ذلك بخمسة أنواع من الدلائل: [و٢٦]

أولها: أنه استدل على التوحيد بأنفسهم، وإليه الإشارة بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ**﴾[٢١].

ثانيها: بأحوال آبائهم وأجدادهم، وإليه الإشارة بقوله: ﴿**وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم**﴾.

ثالثها: بأحوال أهل الأرض، وإليه الإشارة بقوله: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا**﴾.

رابعها: بأحوال أهل السماء، وإليه الإشارة بقوله: ﴿**وَالسَّمَاءَ بِنَاءً**﴾.

خامسها: بالأحوال الحادثة المتعلقة بالسماء والأرض، وإليه الإشارة بقوله: ﴿**وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ**﴾ فإن السماء كالأب، والأرض كالأم، تنزل قطرة من

(١) قوله: «بحسب الظاهر» ساقط من ب.

(٢) في ظ وع: «مقدمة: اعلم ـ وفقك الله تعالى ـ أن مناسبة هذه الآية لما قبلها هو».

(٣) انظر ما قاله السمرقندي في تفسير هذه الآية ١/١٠٣، وكأن المؤلف انطلق منه، فشرحه ووسعه.

صلب السماء إلى رحم الأرض، فيتولد منها أنواع النبات.

ولما ذكر تعالى هذه الدلائل الخمسة رتب المطلوب عليها فقال: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٢٢] فهو مشتمل على إثبات الإله، وعلى إثبات كونه واحداً، لأن تلك حوادث، وكل حادث لابُدَّ له من محدث، وذلك دليل على وجود الصانع[١]، ولأنها حدثت لا على وجه الخلل والفساد، وذلك دليل على وحدة الصانع ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[الأنبياء: ٢٢][٢].

ثم هنا لطيفة أخرى مرعية في هذه الآية، وهي أنَّ الترتيب الحسن المفيد في هذه الآية: في التعليم من الأظهر فالأظهر، نازلاً إلى الأخفى فالأخفى في الدلائل[٣]، لأنه تعالى قال: ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ فجعل استدلال كل عاقل بنفسه مقدماً على جميع الاستدلالات لأن اطلاع كل أحد على أحوال نفسه أتم من اطلاعه على أحوال غيره، فيجد بالضرورة من نفسه أنه تارة يكون مريضاً، وتارة صحيحاً، وتارة ملتذاً، وتارة متألماً، وتارة شاباً، وتارة شيخاً، والانتقالُ من بعض هذه الصفات إلى غيرها ليس باختياره، ولا باختيار أحد.

وأيضاً: كثيراً ما يجتهد في طلب شيء فلا يجد، وكثيراً ما يكون غافلاً عنه فيحصل، وعند ذلك يعلم كل أحد عند[٤] نقض العزائم وفسخ الهمم[٥] أنه لابد له من مدبر يكون تدبيره فوق تدبير البشر[٦].

وربما اجتهد العاقل الذكي في الطلب فلا يجد، والغِرُّ الغبي يتيسر له ذلك المطلوب، فعند هذه الاعتبارات يلوح[٧] له صدق قول الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه:

(١) قوله: وذلك ... انفردت به ب.

(٢) للتوسع في تفسير الآية والاستدلال بها ينظر روح المعاني ١٧/٢٣-٢٨.

(٣) في ظ وع: «مرتقياً للأخفى فالأخفى». ولكلٍ وجه.

(٤) في ظ وع: وعند.

(٥) في ع: الهم.

(٦) يقول السيد الجليل جعفر الصادق (ت:١٤٨هـ) رحمه الله ورضي عنه: عرفت الله بنقض العزائم وفسخ الهمم. من «شرح العضدية» للإمام جلال الدين الدواني (ت: ٩٠٨هـ) ص٣٢.

(٧) من هنا إلى آخر البيت انفردت به ب. والبيت من قصيدة انظرها في مناقب الشافعي للبيهقي ٢/٩٢

ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

ويظهر له أن هذه المطالب إنما تحصل وتتيسر بناء على قسمة قسّام لا تمكن منازعته ومغالبته.

وبالجملة فلما كان اطلاع كل أحد على أحوال نفسه أشدَّ من اطلاعه على أحوال غيره لا جرم قدم هذا الدليل على سائر الدلائل.

ثم يتلوها مرتبة ثانية: وهي علم كلٍّ أحد بأحوال آبائه وأجداده، وأهل بلده.

ثم مرتبة ثالثة: وهي معرفة الإنسان بأحوال الأرض التي هي مسكن الخلائق فإنها مختلفة الأجزاء كما قال تعالى: ﴿ **وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ** ﴾ [الرعد: ٤] وقال/ تعالى: [و ٢٧] ﴿ **وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ** ﴾ [فاطر: ٢٧][(١)].

ثم مرتبة رابعة: وهي العلم بأحوال الأفلاك، فإن بعضها يخالف البعض في العلو والسفل، والصغر والكبر، والبطو والسرعة، وغير ذلك.

ثم مرتبة خامسة: وهي الأحوال المنزلة من السماء إلى الأرض، وهي نزول القطر من صلب السماء، ووقوعه في رحم الأرض، ثم بعد ذلك يحدث في الأرض الواحدة أنواع من النبات بحيث يخالف كل واحد منها صاحبه في اللون والشكل والطعم والطبع والخاصية، وليس ذلك إلا بفعل قادر مختار، يفعل بالعلم والقدرة، لا بالعلية والطبيعية[(٢)].

وإذا عرفت ذلك ظهر لك أن لله في ترتيب هذه الدلائل الخمسة، وتقديم بعضها على بعض حكمةً بالغة وأسراراً مرعية، فسبحان مَنْ لا نهاية لعلمه، ولا غاية لحكمته.

ثم إنَّ الله تعالى لما بيّن دلائل إثبات الصانع ووحدانيته، أردف هذه المسألة بمسألة إقامة الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى: ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ** ﴾[البقرة: ٢٣]، وذلك لأن التحدي وقع بكل القرآن في قوله تعالى: ﴿ **لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾[الإسراء: ٨٨].

فلما عجزوا عن معارضة كل القرآن أتبعه بالتحدي بعشر سور من القرآن فقال:

(١) الجدد: الخطط والطرائق، وغرابيب تأكيد للسود. ينظر الكشاف ٣/ ٣٠٧.

(٢) ينظر هذا المعنى في تفسير الرازي ٢/ ١٢١ . وفي ظ: بالعلة والطبيعة.

﴿ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾[هود: ١٣].

فلما عجزوا عنه أتبعه بالتحدي بسورة واحدة فقال هاهنا: ﴿ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾.

فلما عجزوا عنه أتبعه بالتحدي بآية فقال: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ﴾[الطور: ٣٤] [١].

فلما عجزوا عنه ـ مع توفر الدواعي ـ ظهر كونه معجزاً باهراً، وبرهاناً قاهراً.

ثم إنه تعالى أتبع هذه المسألة بمسألة المعاد وهي قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ الآية[٢]. كأنه قيل: إنا قدمنا مدح المؤمنين وذم الكافرين والمنافقين، ولو لم يكن معاد يجد المحسن ثمرة إحسانه، ويجد المسيء عاقبة إساءته لم يكن ذلك لائقاً بحكمتي. فلذلك[٣] أتبع سبحانه ذكر التوحيد والنبوة بذكر

---

(١) أقول: ذكر المؤلف من آيات التحدي أربع آيات، وهي ـ على حسب ترتيبه ـ:

ـ آية الإسراء. آية هود. آية البقرة. آية الطور. وفاتته آية يونس.

وترتيب المؤلف هذا الذي عبر عنه بـ «الفاء» يتفق مع روايات ترتيب النزول السبع في «الإسراء وهود والبقرة» ويختلف في «الطور» فقد اتفقت التراتيب المروية على عدّها في السور المكية، وهذا يعني أنها تأتي قبل سورة البقرة.

وتأتي سورة يونس في هذه التراتيب بعد «الإسراء» وعلى هذا يكون ترتيب آيات التحدي كالآتي:

١ ـ ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ الإسراء: ٨٨.

٢ ـ ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ يونس: ٣٨.

٣ ـ ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا ما استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ هود: ١٣.

٤ ـ ﴿ أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون (٣٣) فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ الطور: ٣٣ـ٣٤.

٥ ـ ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ البقرة: ٢٣.

وتأخير المؤلف آية الطور المكية إلى ما بعد آية البقرة المدنية لأبُدَّ له من مستند وأما التراتيب المروية فلا تسعفه، على أنه يجب القول: إن في أسانيد هذه التراتيب كلاماً كثيراً لا يتسع المقام للإطالة به.

تنظر هذه الجداول والكلام عليها بالتفصيل في «التفسير الحديث للأستاذ محمد عزة دروزة: دراسة وتحليل» ص٥٠ـ١٠١.

وهذا الموضوع جدير أن يفرد ببحث تُدرس فيه الآيات وتفسر وينظر في تسلسلها «ترتيب نزولها» ومستند هذا التسلسل أهو نقلي أم عقلي إلى غير ذلك. وانظر إن شئت ما جاء في «البيان في إعجاز القرآن» للدكتور صلاح الخالدي ص٦١ـ٧٠.

(٢) إن مسألة المعاد بدأ ذكرُها في الآية السابقة، لكن جاء فيها الوعيد، وجاء في هذه الآية الوعدُ.

(٣) من هنا إلى قوله «بذكر الوعد» مستفاد من اللباب لابن عادل ١ /ق٥٩ وهو أفاده من تفسير الرازي ١ /١٣٥.

المعاد، وبين عقاب الكافرين وثواب المطيعين، ومن عادة الله تعالى أنه إذا ذكر الوعيد أن يعقبه بذكر الوعد، فلذلك قال بعده: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ الآية[١] .

إذا تقرر هذا فنقول:

ـ أما قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ﴾ : فالبشارة ـ بفتح الباء وضمها وكسرها ـ. وحكى فيها في «تهذيب الأسماء واللغات»[٢] الكسر والضم فقط، وبَشَر وبشّر ـ بالتخفيف والتشديد ـ وكذا في المضارع . وبمعنى البشارة البشر والتبشير والإبشار، يقال: بشّرت فلاناً، أبشره تبشيراً وبشرته ـ بتخفيف الشين ـ أبشره بشراً، كقتلته أقتله قتلاً. لغتان. والبشير: المبشر، والبشير: الحسن الوجه، والبشر: الطلاقة، والاستبشار: الفرح والسرور، وتباشير الصبح: أوائله، والبشرة: ظاهر جلد الإنسان.

وأما البشارة فهي أول خبر سارٍّ يرد على الإنسان[٣]، وعبارة بعضهم: هي الخبر الصدق السار الذي ليس عند / المخبر علمه، ولهذا قال الفقهاء: لو قال لعبيده: أيكم يبشرني بقدوم [و ٢٨] فلان فهو حر، فبشروه معاً: عتق الكل، وفرادى: عتق الأول لأنه هو الذي أفاد خبره السرور. ولو قال مكان« بشرني »: «أخبرني» عتقوا جميعاً، لأنهم جميعاً أخبروه. كذا في الكشاف وابن عادل[٤] وغيرهما. والذي نص عليه فقهاؤنا إنما يعتق الأول فقط[٥] ، كالبشارة.

وسميت بشارة لأنها تؤثر في بشرة الإنسان، ويظهر في بشرة الوجه أثرُ السرور، ومنه سُمي الآدميون بشراً لظهورهم، فإن كانت البشارة خيراً أثرت المسرة والانبساط، وإن كانت

(١) في تهذيب الأسرار للخركوشي ص٢٠٢: «قال ابن عطاء: ليس في القرآن وعيد شديد إلا وتحته وعد لطيف، ما خلا الويل، فإنه وعيدٌ مجرد».

(٢) ٣/ ٢٧. ثم من هنا إلى قوله: «أن تكون البشارة بالخير» ساقط من ظ.

* (٣) في ب: حاشية: قوله: أول خبر ... إلخ، الذي كان يقرره بعض مشايخنا في تعريفها: هي الخبر السار أولاً، وهو أولى من عبارة المصنف فتأمل، لكن يفهم ذلك مما بعده.

(٤) الكشاف ١/ ٢٥٤، واللباب ١/ق٥٩.

وابن عادل هو: عمر بن علي بن عادل الحنبلي صاحب التفسير الكبير «اللباب» لم يعثر له على ترجمة وافية إلى الآن ولا نعرف له تاريخ وفاة، والظاهر عندي أنه من أهل المئة الثامنة، وانظر عنه: مفتاح السعادة ٢/ ٣٨٠، وكشف الظنون ١/ ١٥٤٣، وطبقات المفسرين للأدنه وي ص٤١٨، والسحب الوابلة ٢/ ٧٩٣، وهدية العارفين ١/ ٧٩٤، والأعلام ٥/ ٥٨، والفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (التفسير) ١/ ٤٩٠–٤٩٧. وفي مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (١٧) ١٤١٧هـ بحث عنه للدكتور محمد الشايع فانظره.

(٥) في المسألة روايتان، انظرهما في القواعد لابن رجب الحنبلي ص٤٢٣–٤٢٤.

شراً أثرت الغم والانقباض. والأغلب في عرف الاستعمال أن تكون البشارة بالخير، والنذارة بالشر، وربما تستعمل البشارة في الشر، ومنه قوله تعالى: ﴿ **بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾[النساء:١٣٨] إلا أن يكون استعمالها في ذلك من باب التهكم بالمخاطب، وهو ظاهر كلام الزمخشري وغيره، فإنه قال: «وأما ﴿ **فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[آل عمران:٢١ وغيرها] فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه»[١]. لكن قال ابن فارس وغيره: والبشارة تكون بالخير والشر، فإذا أطلقت كانت في الخير، وإن استعملت في الشر فبقيد، والمقيدة كقول الله تعالى: ﴿ **فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[٢].

وقال ابن الخازن[٣] : البشارة: إيراد الخبر السار، ثم كثر حتى وضع موضع الخبر سر أو ساء[٤].

وقال الواحدي[٥]: «التبشير إيراد الخبر السار الذي يظهر أثره في بشرة المخبر، ثم كثر استعماله حتى صار بمنزلة الإخبار[٦]، فاستعمل في نقيضه كقوله تعالى: ﴿ **فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[٧] . وفي «تهذيب الأسماء واللغات»[٨]: قال قوم: أصل التبشير فيما يسر ويغم،

(١) الكشاف ١/٢٥٤ – ٢٥٥ .

(٢) النقل عن ابن فارس وغيره هكذا موجود في «تهذيب الأسماء واللغات» ٣/٢٧ وأضاف المؤلف قوله: «وإذا استعملت في الشر فبقيد». ونص كلام ابن فارس في «معجم مقاييس اللغة» ١/٢٥١ في مادة (بشر): «... وذلك يكون بالخير، وربما حُمل عليه غيره من الشر، وأظن ذلك جنساً من التبكيت. فأما إذا أطلق الكلام إطلاقاً فالبشارة بالخير، والنذارة بغيره».

(٣) المعروف أنه الخازن، وقد مرّ هذا في الدراسة.

(٤) لباب التأويل ١/٣٤ (من طبعة دار الفكر) و١/١٧٩ (من الأطروحة المقدمة إلى كلية أصول الدين/جامعة الإمام محمد بن سعود) والنص فيهما: «... حتى وضع موضع الخير والشر» وذكر محقق الأطروحة الدكتور قاسم أحمد القثردي أن النص في نسخة: «... حتى وضع موضع الخبر سر أو ساء».

قلت: وهو الذي جاء هنا. وجاء في ظ بلفظ: «أسر أو أساء» و زيادة الهمزة لعله من خطأ الناسخ، كما أنه وضع تنويناً على حرفي السين!، وفي ع: «موضع الخبر سراً» وهو خطأ أيضاً.

(٥) في الوسيط ١/١٠٣.

(٦) النص إلى هنا نقله النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» ٣/٢٧، وهو في «الوسيط» بزيادة، وكأن المؤلف نقل هذا المقطع من «التهذيب» ثم أكمله من «الوسيط». ولم ترد هذه الزيادة في: ع.

(٧) جاء في ظ هنا جملة هي: «إلا أنه ليس فيها ليس أكثر استعمالاً» وهي جملة محرفة صوابها ـ كما في الوسيط ـ: «إلا أنه فيما يسر أكثر استعمالاً».

(٨) ٣/٢٧ وأشعر سياق النووي أنه من نقل الواحدي، ولم أجده في «الوسيط». وكان المؤلف في ظ وع قد طوى ذكر «تهذيب الأسماء واللغات» واكتفى بقوله: وقال قوم!

لأنه يظهر في بشرة الوجه أثر الغم، كما يظهر أثر السرور.

(وبشِّر) فعل أمر معطوف على الجملة السابقة، من عطف قصة على أخرى فلا يطلب له مشاكل حتى يصح عطفه عليه.

وقُرئ « وبُشِّر » على صيغة الفعل مبنياً للمفعول، عطفاً على(أُعدت)[١] .

وأجاز[٢] الزمخشري[٣] وأبو البقاء[٤] أن يكون (وبَشر) عطفاً على (فاتقوا) ليعطف أمر على أمر، ورده أبو حيان[٥] بأن (فاتقوا) جواب الشرط[٦]، والمعطوف يكون جواباً أيضاً، لأن حكمه حكمه، ولا يصح هنا، لأن التبشير لا يترتب على قوله (فإن لم تفعلوا).

وأجاز الزمخشري و أبو السعود المفتي[٧] أن (وبُشر) ـ بالبناء للمجهول ـ معطوف[٨] على (أُعدت)[٩] كما تقدم[١٠]. قيل: وهذا فاسد، لأن (أُعدت) صلة (التي)، والمعطوف على الصلة صلة[١١]، اللهم إلا أن يقال: إن (أعدت) مستأنف، والظاهر أنه من تمام الصلة،

---

(١) ينظر هذا المعنى والقراءة في « الكشاف » ١ /٢٥٣ وقد عزا الزمخشري هذه القراءة إلى زيد بن علي وكذلك عزاها الرازي وأبو حيان من بعده

(٢) من هنا إلى قوله: « وأجاز الزمخشري » الآتي مستفاد من اللباب لابن عادل ١ /ق٥٩ وهو أفاده من « الدر المصون في علوم الكتاب المكنون » للسمين الحلبي ١ /٢٠٩. وكلاهما لم يشر!

(٣) في الكشاف ١ /٢٥٤.

(٤) هو الإمام عبدالله بن الحسين العكبري البغدادي (٥٣٨–٦١٦) تنظر ترجمته في « طبقات المفسرين » للداودي ١ /٢٣١. وقد رجعت إلى كتابه « التبيان في إعراب القرآن » فما وجدته تعرض لإعراب (وبشر) فلعل هذا في « تفسيره ».

(٥) في البحر المحيط ١ /١١٠.

(٦) الشرط هو ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ﴾.

(٧) هو محمد بن محمد العمادي المتوفى سنة ٩٨٢. انظر ترجمته في « معجم المفسرين » ٢ /٦٢٥. وقد اكتفى في ظ وع بقوله: المفتي.

(٨) في الأصل: معطوفاً.

(٩) ينظر « الكشاف » ١ /٢٥٤، و« تفسير » أبي السعود ١ /٦٨ ونصهما: « وقرئ و« بُشر » على صيغة الفعل مبنياً للمفعول عطفاً على ﴿ أعدت ﴾ وزاد أبو السعود: « فيكون استئنافاً » وكأن المؤلف فهم إجازتهما لهذا من سكوت الأول وتفسير الثاني.

(١٠) قوله: كما تقدم: زيادة على ظ و ع، وخلت د من هذا الكلام كله.

(١١) هذا في اللباب ١ /ق٥٩ وقال أبو حيان في « البحر » ١ /١١١: « وهذا الإعراب لا يتأتى على قول مَنْ جعل (أعدت) جملة في موضع الحال، لأن المعطوف على الحال حال، ولا يتأتى أن يكون « وبشر » في موضع الحال... ».

أو أنه حال من الضمير في (وقودها)، وتعليق[١] التبشير بالموصول للإشعار بأنه معلل بما في حيز الصلة من الإيمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما، فإنهما لا يكافئان النعم السابقة فضلاً عن أن يقتضيا ثواباً مؤبداً فيما يستقبل، بل بجعل الشارع ومقتضى وعده.

والخطاب في قوله (**وبشر**) للنبي صلى الله عليه وسلم.

[و ٢٩] وقيل: لكل مَنْ يتأتى منه التبشير، / وفيه رمز إلى أن الأمر ـ لعظمه وفخامة شأنه ـ حقيق بأن يتولى التبشير به كلٌّ من يقدر عليه[٢].

* * *

وأما قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾:

فالذين: اسم موصول، محله النصب على المفعولية، وجملة (آمنوا) صلة لا محل لها من الإعراب.

والإيمان **لغة**: مطلق التصديق. **وشرعاً**: على ما صرح به الأشعرية[٣] وأكثر الأئمة: هو تصديق القلب الجازم بما عُلم ضرورة مجيء الرسول به من عند الله: تفصيلاً فيما علم تفصيلاً، كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء وأركان الإسلام الخمس، وإجمالاً فيما علم إجمالاً[٤].

والمراد بتصديق القلب بذلك: إذعانه وقبوله له[٥]. وإنما قلنا بذلك لئلا يرد علينا من صدق بقلبه ولم يذعن كإبليس، وأبي طالب، وذلك شبهة قوية لمن جعل الأعمال من الإيمان، كما اختاره الأكثر، كما يأتي، فإن الكفر ـ كما في البغوي[٦] ـ: «أربعة أنواع: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق.

---

(١) من هنا إلى قوله: «مقتضى وعده» من تفسير أبي السعود ١/٦٨ بدون قوله «مؤبداً» الآتي.

(٢) في الكشاف ١/٢٥٣: «يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يكون كل أحد... وهذا الوجه أحسن وأجزل، لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به».

(٣) في ظ: الأشعري، وخالفتها النسخ الثلاث.

(٤) هذا من المواقف لعضد الدين الإيجي انظره بشرحه للجرجاني ٨/٣٢٢-٣٢٣.

(٥) في د هنا: «والتكليف به وإن كان من الكيفيات النفسانية دون الأفعال الاختيارية إنما هو التكليف بأسبابه كإلقاء الذهن وصرف النظر وتوجيه الحواس ورفع الموانع» ويأتي بعد هذا قوله: وقد أفردنا مسألة...

(٦) يريد تفسيره «معالم التنزيل» ١/٦٤ والنقل بتصرف يسير.

فكفر الإنكار: هو أن لا يعرف الله أصلاً، ولا يعترف به.

وكفر الجحود: هو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه، ككفر إبليس ونحوه، قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ** ﴾ [البقرة: ٨٩].

وكفر العناد: هو أن يعرف الله بقلبه، ويعترف بلسانه، ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول:

ولقد علمتُ بأنّ دينَ محمدٍ من خير أديان البرية دينا
لولا الملامةُ أو حذارُ مسبةٍ لوجدتَني سمحاً بذاك مبينا

وأما كفر النفاق: فهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب.

وجميع هذه الأنواع سواء في أن مَنْ لقي الله بواحد منها لا يغفر له» وأبو طالب ـ وإن كان عنده تصديق وإقرار ـ لكن ليس معه إذعان وقبول.

ولذلك[1] قال شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية[2]: «إنَّ مجرد تصديق القلب واللسان مع البغض والاستكبار لا يكون إيماناً باتفاق المسلمين حتى يقترن بالتصديق عمل، وأصل العمل عمل القلب، وهو الحب والتعظيم المنافي للبغض والاستكبار» انتهى.

وقد أفردنا مسألة الإيمان والإسلام وعمومهما وخصوصهما، وهل الأعمال من الإيمان؟ وهل هو يزيد وينقص؟ وهل إيمان المقلد صحيح؟ بالتصنيف[3]، وأطلنا الكلام على ذلك، فلا يليق بهذه الرسالة اللطيفة.

* * *

وأما قوله تعالى: ﴿ **وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ** ﴾:

فهو معطوف على (آمنوا).

---

(١) في ظ: لكن!

(٢) في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» في مجموع الفتاوى ٢٨/١٧٧ـ ١٧٨، وهو في طبعة شذرات البلاتين ص٤٣٥ بزيادة، ومضمونه يتكرر في كلام الشيخ، انظر من ذلك شرح العقيدة الأصفهانية ص١٤٠ـ ١٤٢.

(٣) لعله يقصد كتابه: توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان، يوجد منه نسخة خطية في المكتبة التيمورية بالقاهرة برقم (٣٩٧)، ومكتبة سليم آغا بتركيا برقم (٦٥٧). من مقدمة الدكتور عبدالله بن سليمان الغفيلي لكتاب المؤلف «دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر» ص٣٢.

قال ابن الخطيب[١] وغيره: «هذه الآية تدل على أن الأعمال غير داخلة في الإيمان، لأنه تعالى ذكر الإيمان ثم عطف عليه العمل الصالح، فوجب التغاير، وإلا لزم التكرار، وهو خلاف الأصل» انتهى.

يعني: ففي الآية رد على مَنْ جعل العمل من الإيمان، لأن العطف دليل على المغايرة، والذي ذهب إليه جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج أن الإيمان مجموع ثلاثة أمور: اعتقاد الحق، والإقرار به، والعمل بمقتضاه، فمن أخلَّ بالاعتقاد وحده فهو منافق، ومَنْ أخلَّ بالإقرار فهو كافر، ومَنْ/ أخلَّ بالعمل فهو فاسق إجماعاً، وكافر عند الخوارج، وخارج عن الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة، وأما المرجئة فقالوا: الإيمان اعتقاد ونطق فقط، والكرامية[٢] قالوا: هو نطق فقط. [و ٣٠]

وبالجملة: فالعبد إذا فعل فعلاً لا يدل على الكفر، كالفسق: فَمَنْ أطلق عليه الإيمان فبالنظر إلى إقراره، ومَنْ نفى عنه الإيمان فبالنظر إلى كماله، ومَنْ أطلق عليه الكفر فبالنظر إلى أنه فَعَل فعل الكافر[٣].

وقال المفتي في «تفسيره»[٤]: «وفي عطف العمل على الإيمان دلالة على تغايرهما، وإشعار بأن مدار استحقاق مفهوم[٥] البشارة هو مجموع الأمرين، فإنَّ الإيمان أساس، والعمل الصالح كالبناء عليه، ولا اعتبار بأسٍ لا بناء به»[٦] كذا قال المفتي في تفسيره[٧]. وهل ينفع الإيمان ويعتبر بلا عمل؟ على مذهبين:

---

(١) يعني الإمام الرازي وسيذكره بهذا الاسم عند كلامه على قوله تعالى: ﴿وهم فيها خالدون﴾، وكلام الرازي في «تفسيره» ٢/ ١٤٠ باختلاف يسير جداً، والظاهر أنه نقل من اللباب ١/ق٥٩ فالكلام فيه مصدراً بقائله بهذه الصيغة: قال ابن الخطيب.

(٢) انظر عن هذه الفرق: الفرق بين الفِرق لعبد القاهر البغدادي، المعتزلة ص١١٤، والخوارج ص٧٢، والمرجئة ص٢٠٢، والكرامية ص ٢١٥، فما بعدها.

(٣) هذا من فتح الباري ١/ ٤٦.

(٤) لم ترد هذه الجملة في د.

(٥) مفهوم: ليست في «التفسير».

(٦) هذه الجملة في ظ: «والاعتبار بالأساس لا بالبناء» وهي جملة محرفة.

(٧) تفسير أبي السعود ١/ ٦٨ وأصل هذا التعبير للبيضاوي في تفسيره ص١٩

١ ـ فمنهم مَنْ قال: إن النطق بالشهادتين شطر من الإيمان وجزء منه داخل في مسماه، وإليه ذهب الإمام النووي رحمه الله، وحكى الاتفاق عليه، فقال في «شرح مسلم»[١]: «اتفق أهل السنة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين على أن المؤمن الذي يُحكم بأنه من أهل القبلة، ولا يخلد في النار لا يكون إلاَّ مَن اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك، ونطق بالشهادتين، فإن اقتصر على إحداهما[٢] لم يكن من أهل القبلة أصلاً، إلا إذا عجز عن النطق، لخللٍ في لسانه، أو لعدم التمكن منه لمعاجلة المنية، أو لغير ذلك فإنه يكون حينئذ[٣] مؤمناً» ـ يعني بالاعتقاد من غير تلفظ بالشهادتين، وعليه فمدار استحقاق البشارة مجموع الأمرين، وصح كلام المفتي لكن يخرج منه مَنْ لم ينطق بالشهادتين لعذرٍ[٤] كما مرَّ.

قلت: ولعل ما حكاه الإمام[٥] النووي رحمه الله محمول على الكافر الأصلي إذا آمن بقلبه فقط، وإلا فقد اتفقوا على الإسلام بالتبعية، وفي مسائل أخر بلا نطق بالشهادتين[٦].

٢ـ والذي ذهب إليه جمهور المحققين[٧] أنّ النطق بالشهادتين إنما هو شرط لإجراء

(١) ١/١٠٦ (في شرح الحديث الأول).

(٢) في النسخ الأربع: أحدهما.

(٣) ليس في المصدر المنقول منه.

* (٤) في ع: قوله: لكن يخرج منه إلخ أقول: من لم ينطق بالشهادتين لعذر غير شرعي فخروجه لا يضرنا ومن لم ينطق لعذر شرعي ـ يعني اعتبره الشرع عذراً ـ فهو ناطق حكماً، فيحمل النطق بالحقيقي والحكمي فلا إشكال. لمحرره.

(٥) ليس في ظ.

* (٦) في ع: قوله: ولعل ما حكاه الإمام النووي إلخ تأويل باطل إذ سوق كلام النووي يأباه جداً. لمحرره.

* (٧) في ع: قوله: والذي ذهب إليه جمهور المحققين إلخ فرية بلا مرية، بل أكثر المحققين على خلاف ما قال، كما يُفهم من قول النووي. لمحرره.

أقول: وفي شرح صحيح مسلم للنووي ١/١٦٦ في شرح هذا الحديث: «قال القاضي [عياض]: وقد يحتج به أيضاً مَنْ يرى أن مجرد معرفة القلب نافعة دون النطق بالشهادتين لاقتصاره على العلم. ومذهب أهل السنة أن المعرفة مرتبطة بالشهادتين، لا تنفع إحداهما ولا تنجي من النار دون الأخرى إلا لمن لم يقدر على الشهادتين لآفة بلسانه، أو لم تمهله المدة ليقولها بل اخترمته المنية، ولا حجة لمخالف الجماعة بهذا اللفظ إذ قد ورد مفسراً في الحديث الآخر: من قال: لا إله إلا الله، ومن شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وقد جاء هذا الحديث وأمثاله كثيرة في ألفاظها اختلاف، ولمعانيها عند أهل التحقيق ائتلاف...».

الأحكام الدنيوية من الصلاة عليه، والتوارث والمناكحة وغيرها، غير داخل في مسمى الإيمان، وعليه فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه مع تمكنه من النطق بالشهادتين فهو مؤمن عند الله[١]، ويؤيد ذلك الحديثُ الصحيح، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»[٢]. فاقتصر الشارع صلى الله عليه وسلم على العلم دون العمل، فظهر[٣] بهذا أن الإيمان وحده بدون العمل، به اعتبار وأي اعتبار، وعليه فعطف العمل على الإيمان في الآيات لبيان الأشرف الكامل أو[٤] الغالب.

أو إنَّ المراد به المستحق للبشارة من غير سابقة عذابٍ بخلاف مَنْ لم يعمل فهو داخل في المشيئة وإنْ كان لا يخلد في النار، كما دل عليه الحديث الصحيح فتأمل.

[و ٣١] فالمؤمن/ المطيع له الجنة بوعد من الله تعالى من غير تعذيب، والكافر له التعذيب المؤبد بوعيد الله تعالى، والمؤمن العاصي في مشيئة الله تعالى، إن شاء غفر له وأدخله الجنة بلا تعذيب، وإن شاء عذبه بذنبه[٥] ثم أدخله الجنة بفضله[٦].

والمراد بالأعمال الصالحات ما يشتمل على كل عمل صالح، وحاصله: كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والنقل[٧]، ولا يكون مستقيماً إلا ما فيه الإخلاص

* (١) في ع: قوله: فهو مؤمن عند الله إلخ باطل لأنه قال الله تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾ إلى قوله: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا﴾ وقال: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا﴾ والآيات بهذا السياق كثيرة. وقال رسول الله ﷺ: «قولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله تفلحوا» فلم يجعل الله ورسوله [هنا كلمة لعلها: القبول] بالمعرفة دون القول. وأيضاً: يلزم أن يكون المشركون الذين عرفوا نبوة نبينا كما يعرفون أبناءهم ولم يصدقوها بسبب من الأسباب الباطلة مؤمنين، والحديث الذي أورده لتأييد كلامه لو سلم صحته ـ وهو خبر آحاد ـ فلا يعارض النصوص. لمحرره.

أقول: ما نقلته عن القاضي عياض في توجيه الحديث أولى مما جاء هنا، بل هو المتعين.

(٢) رواه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ١/ ٥٥ برقم (٢٦)، وآخرون. وقال في المستدرك ١/ ٧٢ «إنهما أخرجاه من حديث الوليد عن حمران عن عثمان» ولم يُعز إلى البخاري في موسوعة أطراف الحديث النبوي ١/ ٥٦٤ ولا في ذخائر المواريث للنابلسي ٢/ ٢٣٢.

(٣) في ظ وع: وظهر.

(٤) في ب: «و». وأثبت ما في ظ وع.

(٥) بذنبه: ساقط من ب.

(٦) بفضله: في ب فقط.

(٧) قوله: كل... إلخ من كلام الزمخشري في الكشاف ١/ ٢٥٥.

والعلم والنية فعن عثمان رضي الله تعالى عنه أن المراد: أخلَصوا الأعمال[١]. يدل عليه قوله تعالى: ﴿**فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[الكهف:١١٠] والمرائي لا يكون عمله صالحاً لأنه لا يكون خالصاً[٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾[البينة:٥]، وقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح[٣]: «قال[٤] الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء، وهو كله[٥] للذي أشرك».

قال ابن تيمية[٦] : «وهذا هو التوحيد[٧] الذي هو أصل الإسلام، وهو دين الله الذي بعث به جميع رسله، وله خلق الخلق، وهو حقه على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. ولهذا كان الإمام عمر بن الخطاب يقول: اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً[٨] .

وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿ **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ [الملك:٢]

---

(١) قول عثمان بلفظه في تفسير البغوي ١/٧٣ وزاد المسير ١/٥٢، واللباب ١/ق٥٩، وبمعناه في البحر المحيط ١/١١١.

* (٢) في ب: حاشية: أقول: ظاهر الآية يدل على أن العمل الصالح مقيد بالإخلاص، فالصلاح وصف آخر غير الإخلاص، فتأمله.

(٣) رواه باللفظ المذكور هنا ابن ماجه في السنن، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة عن أبي هريرة ٢/١٤٠٥ برقم (٤٢٠٢)، ورواه مسلم في الصحيح كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله ٤/٢٢٨٩، برقم (٢٩٨٥) ولفظه: «... من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه».

وسند ابن ماجه قال عنه البوصيري في الزوائد ٣/٢٩٥: «هذا إسناد صحيح رجاله موثقون» ثم ذكر من رواه أيضاً. وهو في الجامع الصغير للسيوطي انظر فيض القدير ٤/٤٨٣ برقم (٦٠٣١). والظاهر أن المؤلف نقله من كلام الشيخ ابن تيمية في فصل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. انظره في مجموع الفتاوى ٢٨/١٣٤.

(٤) في ظ وع وب: يقول. وأثبت ما في الصحيح والسنن والفيض.

(٥) ليس في السنن، وهو في نقل ابن تيمية.

(٦) في ظ وع: «قال بعض المحققين»، ولم ينقل النص في د. والنص في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» في مجموع الفتاوى ٢٨/١٣٥– ١٣٦ و ١٧٧، فقد أخذ الكرمي هذه النقول من موضعين وتصرف. وما جاء عن عمر والفضيل موجود في اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٨٤٣ ومنهاج السنة النبوية ٥/٢٥٣ بدون ما قبله وما بعده، وفي ٦/٢١٧ من المنهاج قول الفضيل فقط.

(٧) في ع: التوجيه!

(٨) من قوله: ولهذا كان ... إلى هنا ساقط من ب.

قال: أخلصه وأصوبه. فقيل له: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون صواباً خالصاً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة[١].

وقال سعيد بن جبير والحسن البصري: لا يُقبل قول إلا بعمل، ولا يقبل قول وعمل إلا بنية، ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة، وهي الشريعة.

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: العلم إمام العمل، والعمل تابعه. وهذا ظاهر فإنَّ القصد والعمل إنْ لم يكن بعلم كان جهلاً وضلالاً واتباعاً للهوى»، وهذا مشاهد فإنَّ كثيراً من الناس مَنْ يتعبد بعبادات لم يأمر الله بها، بل قد نهى عنها[٢].

وقيل في تفسير الآية ما رُوي عن علي كرم الله وجهه: إن المراد وأقاموا الصلوات المفروضات[٣].

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: العمل الصالح الذي يكون فيه أربعة أشياء: العلم والنية والصبر والإخلاص[٤].

وقال سهل بن عبد[٥] الله: (وعملوا الصالحات) أي لزموا السنة[٦]، لأن عمل المبتدع لا يكون صالحاً البتة.

وقال بعضهم: أدوا الأمانات[٧]. وقيل: أدوا الفرائض، واجتنبوا المحارم.

وقيل: الأعمال الصالحات نوعان: أعمال بينك وبين العباد كأداء الأمانات، والوفاء بالعهود، وقضاء الحقوق، وصلة الأرحام.

---

(١) روى هذا القول أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/٩٥ من رواية إبراهيم بن الأشعث عنه. وفيه بيان الخالص والصواب بدون سؤال.

(٢) من قوله: وهذا ظاهر ... إلى هنا ساقط من ب.

(٣) قول علي في زاد المسير ١/٥٢، .

(٤) قول معاذ في تفسير البغوي ١/٧٣، و البحر المحيط ١/١١١، واللباب ١/ق٥٩.

(٥) في ظ: عطاء، وهو خطأ والمقصود: التستري الإمام الزاهد المشهور توفي سنة (٢٨٣هـ)، وترجمته في السير للذهبي ١٣/٣٣٠.

(٦) في البحر المحيط ١/١١١: «قال سهل بن عبدالله: ما وافق الكتاب والسنة».

(٧) في البحر: وقيل: الأمانة.

وأعمال بينك وبين الله تعالى وهي نوعان: ظاهرة وباطنة، فالظاهرة: أداء الشرائع كالصلاة والزكاة والصوم والحج والطهارة. والباطنة: صفات القلب، كالتوكل والرضا بالقضاء، والصبر في البلاء، والشكر في الرخاء[١]. والأمر في ذلك سهل[٢].

* * *

وأما قوله تعالى: ﴿ **أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ** ﴾:

فالجار[٣] والمجرور خبر (أن) مقدم، والتحقيق أن الخبر متعلق الظرف، و(جنات): اسمها مؤخر، و(أن) وما في حيزها في محل جر عند الخليل والكسائي، ونصب عند سيبويه والفراء[٤]، لأن الأصل: وبشر الذين آمنوا بأن لهم[٥]، فحذف/ حرف الجر مع أنَّ، وهو [و ٣٢] حذف مطرد معها، ومع أن الناصبة، ويظهر أثر ذلك في التابع، كقول الشاعر[٦]:

وما زرتُ ليلى أن تكون حبيبة إليَّ ولا دَيْنٍ بها أنا طالبُهْ

فعطف «دين» بالجر على محل «أن» يُبين كونها مجرورة.

واللام من الحروف الجارة للظاهر والمضمر لكن تكسر مع الظاهر إلا في الاستغاثة، وتفتح مع الضمير، كما هنا، إلا مع ضمير ياء المتكلم نحو: لي.

(١) قال أبو حيان ١/١١١: «والاختيار قول الجمهور وهو كل عمل صالح أريد به الله».

* (٢) قوله: والأمر في ذلك سهل في د و ب فقط، وقد علق عليه كاتب ب الصفوري بقوله: «قوله: والأمر في ذلك سهل» الظاهر أن مراده بمرجع الإشارة المذكورُ من الخلاف في المراد بالأعمال الصالحات، أي ليس له عظيم جدوى. أو مراده: سهل على من سهله الله عليه. وأقول: هو في الحقيقة عظيم الخطر إذ ترتب هذا الجزاء الجسيم عليه يحرك كل ذي لب سليم لطلب معرفته ليفوز بالجزاء المذكور، ويظهر للفقير أن الحكمة في عدم ذكر الموصوفات في الآية الكريمة بالتصريح والتعيين هي الحكمة في إخفاء ساعة الإجابة في يوم الجمعة وليلة القدر، وهي هنا حض العاملين على التقيد بكل عمل صالح. وفي تينك حض الداعين والقائمين على استيعاب ذلك اليوم وتلك الليلة بالاشتغال بالدعاء والعبادة فتدبره. ونسأل الله من فضله التوفيق لسلوك ذلك الطريق، وتسهيله حتى نصل لذلك الجزاء مع خير فريق بمنه وكرمه آمين. لكاتبه عبد القادر الصفوري غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين». أقول: والأولى أن نحمل قوله «سهل» على أن الاختلاف في هذه الأقوال ليس متضاداً.

(٣) من هنا إلى قوله: «ويبين كونها مجرورة» مأخوذ من اللباب لابن عادل ١/ق ٥٩-٦٠ وهو أخذه من الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين ١/٢١١-٢١٢ بدون عزو كما ترى وقد اختصر الكرمي بعضه.

(٤) انظر الكتاب ١/١٧ ومعاني القرآن ١/١٤٨، ٢/٢٣٨ اهـ. من حاشية الدر المصون لمحققه الدكتور أحمد الخراط.

(٥) «بأن لهم» سقط من ع.

(٦) البيت للفرزدق، وهو في ديوانه ص٩٣، والإنصاف ١/٣٩٥، والأمالي ١/٤١٨، والمغني ص ٥٨١، والأشموني ٢/٩٢، والدرر ٢/١٠٥ ا.هـ من حاشية الدر المصون.

واللام أكثر الحروف معاني[١]:

١ ـ فهي للملك، نحو: المال لزيد.

٢ ـ وللاختصاص، نحو: الجنة للمؤمنين.

٣ ـ وللاستحقاق، نحو: النار للكافرين.

٤ ـ وللتعليل، نحو: قمت لك.

٥ ـ وللتعجب، نحو: لله درك[٢].

٦ ـ وللاستعلاء، نحو: ﴿ **وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ** ﴾[الإسراء: ١٠٩][٣].

٧ ـ وللقسم، نحو: لله لا يؤخر الأجل.

٨ ـ وللوقت، نحو: ﴿ **أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ** ﴾[الإسراء: ٧٨][٤].

٩ ـ وللتاريخ، نحو: كتب لخمس خلون من رمضان.

١٠ ـ وللعاقبة، نحو: لدوا للموت وابنوا للخراب[٥].

---

(١) أُلف في «اللامات» عدة كتب انظر منها «كتاب اللامات» لأبي الحسن علي بن محمد الهروي النحوي (ت:٤١٥هـ).

(٢) انظر اللامات لأحمد بن فارس ص٢٥.

(٣) اللام هنا بمعنى على، أي يخرون على الأذقان.

(٤) في اللامات للهروي ص٤٥: «أي بعد زوال الشمس»، وقد أورد هذا الشاهد في مجيء اللام بمعنى «بعد».

(٥) روى البيهقي في شعب الإيمان ٧/٣٩٦ برقم (١٠٧٣٠) عن أبي هريرة مرفوعاً: «ملك بباب من أبواب السماء» فذكر حديثاً وفيه: «وملك بباب آخر يقول: يا بني آدم لدوا للتراب وابنوا للخراب» و أورده السخاوي في المقاصد الحسنة ص٣٣٦ برقم (٨٥٥)، وذكر ما يتعلق بهذه الجملة من روايات ثم أورد أشعاراً منها قول القائل:

له ملك ينادي كل يوم   لدوا للموت وابنوا للخراب

وهو كذلك شطر بيت من مطلع قصيدة لأبي العتاهية، وتمامه: * فكلكم يصير إلى تباب* (انظر الديوان ص٤٦).

وفي كتاب اللامات للزجاجي ص١٢٠: «ومن لام العاقبة قول الشاعر وهو سابق البربري:

أموالنا لذوي الميراث نجمعها   ودورنا لخراب الدهر نبنيها

وهم لا يجمعون المال للوارث، ولا يبنون الدور للخراب، ولكن لما كانت عاقبة أمرهم إلى ذلك جاز أن يقال فيه ما ذكرنا...». وانظر تعليق المحقق.

١١ ـ وبمعنى «في» نحو: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ** ﴾[الأنبياء: ٤٧].

١٢ ـ وبمعنى «بعد» نحو: «صوموا لرؤيته»[١] أي بعد رؤيته.

١٣ ـ وبمعنى «إلى» نحو: ﴿ **كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾ [الرعد:٢].

١٤ ـ وبمعنى «مع» نحو:

فلمّا تفارقنا كأنّي ومالكاً   لطولِ اجتماعٍ لم نبتْ ليلةً معا[٢]

١٥ ـ وبمعنى «من» نحو:

وإنّ قرينَ السوءِ لستَ بواجدٍ   له راحةً ـ ما عشتَ ـ حتى تفارقَهْ

١٦ ـ وزائدة، نحو: ﴿ **فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ** ﴾ [البروج:١٦].

١٧ ـ وللجزاء، نحو: لو جئتني لأكرمتك.

١٨ ـ وللأمر، نحو: لتضرب.

١٩ ـ وللتأكيد، نحو: إنه لقائم.

٢٠ ـ وللابتداء، نحو: لزيد قائم.

٢١ ـ وللتعريف، نحو: الرجل عند الأخفش، وأحد قولي سيبويه[٣] .

٢٢ ـ وللجنس.

٢٣ ـ وللعهد.

و(جنات) جمع جنة[٤]، وسميت الجنة جنة لاستتار أرضها بأشجارها، أو لأنها تستر وتظل من يكون فيها بما فيها من الشجر، ومنه سمي الجن جناً لاستتارهم، والجنين من ذلك، والدرع جنة، وجن الليل إذا ستر، والجنون يستر العقل.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/٣٢١ والترمذي في الجامع، أبواب الصوم ٢/٦٦ برقم (٦٨٨) والنسائي ٤/١٥٣ – ١٥٤ وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) البيت لمتمم بن نويرة، ورد في مصادر متعددة ذكرها محقق كتاب اللامات للهروي الدكتور يحيى علوان حسون ص٤٤ منها ديوان مالك ومتمم ص١١٢.

(٣) انظر الكلام على لام التعريف في اللامات للزجاجي ص٤١ – ٤٩.

(٤) من هنا إلى آخر قول الزجاج الآتي في زاد المسير ١/٥٢ ما عدا قوله: أو لأنها تستتر ... وقوله: والجنون... وقول الفراء.

وعن بعضهم[١]: إن الجنة كل بستان فيه نخل. وقال الفراء[٢]: الجنة ما فيه النخيل، والفردوس ما فيه الكرم [٣].

وقال الزجاج: كل نبت كثف وكثر[٤] وستر بعضُه بعضاً فهو جنة[٥].

وقيل: الجنة البستان فيه النخيل والشجر المتكاثف، وسُميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان[٦].

وفي قوله سبحانه: (جنات) ـ بصيغة الجمع ـ إشعار بتعددها، وهو كذلك فإنّ الجنة[٧] اسم لدار الثواب كلها، وهي مشتملة على جنات كثيرة مرتبة[٨] على حسب استحقاقات العاملين[٩]، لكل طبقة منهم جنة من تلك الجنان، لكن اختلفوا في مقدار عدتها: فقال القرطبي[١٠]: «قيل[١١]: الجنان سبع: دار الجلال ودار السلام ودار[١٢] الخلد وجنة عدن وجنة

(١) صرح باسمه في زاد المسير وأنه المفضل. وهو ابن سلمة النحوي اللغوي الأديب المفسر توفي نحو سنة ٢٩٠هـ. انظر معجم المفسرين ٢/٦٨١.

(٢) لم أجد قوله هذا في: «معاني القرآن» في الكلام على هذه الآية، وهو في تفسير البغوي ١/٧٣، واللباب ١/ق٦٠.

(٣) سقط قول الفراء من ع.

(٤) سقط من ع.

(٥) لم أجد هذا في كتابه «معاني القرآن وإعرابه» في الكلام على هذه الآية.

(٦) هذا القول للزمخشري في الكشاف ١/٢٥٦، نقله المؤلف باختصار.

(٧) من هنا إلى قوله: تلك الجنان للزمخشري في الكشاف ١/٢٥٧.

(٨) في ظ وع: مرتبة مراتب

(٩) نبه أبو حيان في البحر ١/١١٢ إلى أن الزمخشري دس في هذه الكلمة مذهبه الاعتزالي، وذلك في تعبيره بالاستحقاق. ولذلك عبر الآلوسي في روح المعاني ١/٢٠٢ بقوله: «في كل واحدة منها مراتب شتى ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الأعمال والعمال». وقال قبل هذا في ١/٢٠١: «ولام الجر للاستحقاق وكيفيته مستفادة من خارج، ولا استحقاق بالذات، فهو بمقتضى وعد الشارع الذي لا يخلفه فضلاً وكرماً لكن بشرط الموت على الإيمان»، وهو مستفاد من البيضاوي انظر تفسيره ص١٩.

(١٠) في كتابه «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» ٢/١٧٥ – ١٧٦ في «باب نبذ من أقوال العلماء في تفسير كلمات وآيات من القرآن وردت في ذكر الجنة وأهلها».

(١١) في التذكرة «قال ابن عباس» وفي المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١/٤٤٧: «وذكر وهب وغيره أن الجنان سبع» وذكرها كما هنا، وما نقل عن ابن عباس أنكره السيوطي وقال: إنه لم يوجد في شيء من كتب الحديث اهـ من حاشية الخفاجي على البيضاوي ٢/٦٥.

(١٢) في التذكرة والمنهاج: وجنة.

المأوى وجنة نعيم وجنة الفردوس». وزاد بعضهم: عليين، ففي حديث البراء بن عازب يرفعه: أن عليين تحت العرش[١].

وفي بعض التفاسير[٢]: «هي ثمان قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: هي دار الجلال ودار القرار ودار السلام وجنة عدن ـ وهي قصبة الجنة ومشرفة على الجنان كلها ـ وجنة/ المأوى وجنة الخلد وجنة الفردوس وجنة نعيم». [و٣٣]

وقيل: الجنان أربع فقط، واختاره الحليمي[٣] لما روى إمامنا أحمد والطيالسي والبيهقي[٤] عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جنات الفردوس أربع[٥]: جنتان من ذهب، حليتهما وآنيتهما وما فيهما. وجنتان من فضة، حليتهما وآنيتهما وما فيهما» الحديث. وهذه الأربع توصف بالمأوى والخلد والعدن والسلام[٦].

قال ابن زيد: هي أربع: جنتان للمقربين السابقين، فيهما من كل فاكهة زوجان،

(١) جاء في تفسير القرطبي ١٩/٢٦٢ (تفسير سورة المطففين): «وقال قتادة أيضاً: «في عليين» هي فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى. وقال البراء بن عازب قال النبي صلى الله عليه وسلم: «عليون في السماء السابعة تحت العرش» ثم أورد خبرين يدلان على هذا المعنى، ولعل أصل حديث البراء هذا ما رواه عنه الطيالسي في مسنده ١/١٠٢، والروياني ١/٢٦٣.

(٢) في ظ و ع: «وفي تفسير السمرقندي». وقد رجعت إلى تفسيره ونظرت تفسير الآية ٢٥ من البقرة و٢٣ من الرعد وتفسير سورة الرحمن فلم أجد النص المنقول هنا. ولعل هذا يفسر تعديل المؤلف للعبارة.

(٣) لعل المؤلف أفاد هذا من «التذكرة» للقرطبي ٢/١٧٦، وقد نقل القرطبي كلام الحليمي من كتابه المنهاج في شعب الإيمان، ونصه فيه ١/٤٧٤: «وإنما منعنا أن نجعل كل واحدة من العدن والمأوى والنعيم جنة سوى الأخرى لأن الله عز وجل إن كان سمّى شيئاً من هذه الأسماء جنة في موضع فقد سمّى الجنات كلها بذلك في موضع آخر فعلمنا أن هذه الأسماء ليست لتمييز جنة من جنة، ولكنها للجنان أجمع لا سيما وقد أتى الكتاب بذكر العدد ولم يثبت إلا أربعاً». اهـ مصححاً.

(٤) انظر مسند أحمد ٤/٤١١، ومسند الطيالسي برقم (٥٢٩)، وشعب الإيمان للبيهقي ١/٣٤٨ (العلمية) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٩٨: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» والحديث في الدر المنثور (سورة الرحمن: الآية ٤٦) ٦/١٦٢.

(٥) هذه الجملة في مسند الطيالسي، وفيه: جنان.

(٦) قال البيهقي في شعب الإيمان ١/٣٤٨: «وذكر بعض أهل العلم أن جنة المأوى اسم للجميع، وكذلك جنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد ودار السلام».

وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين[١] .

«**لطيفة**»: روى ابن أبي الدنيا[٢] عن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «خلق الله جنة عدن بيده، بناها لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زمردة خضراء، ملاطها[٣] المسك، وحشيشها الزعفران، وحصباؤها اللؤلؤ، وترابها العنبر، ثم قال لها: انطقي. فقالت: قد أفلح المؤمنون. فقال: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل».

«**تنبيه**»: قال ابن عادل[٤]: «هذه الآيات صريحة في أنّ الجنة والنار مخلوقتان، لأنه تعالى قال في صفة النار ﴿ **أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾[البقرة:٢٤] وقال في صفة الجنة، في آية أخرى ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقال ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ**﴾ وهذا إخبار عن وقوع هذا الملك وحصوله، وحصول الملك في الحال يقتضي حصول المحلول ـ كذا قال [٥] ـ في الحال، فدل على أنَّ الجنة والنار مخلوقتان» انتهى.

(١) ينظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١/٤٧٤-٤٧٥ بدون عزو إلى ابن زيد، وفي الدر المنثور (سورة الرحمن الآية ٤٦) ٦/١٦٢: «أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ وقوله: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ قال: جنتان من ذهب للمقربين، وجنتان من ورق لأصحاب اليمين.

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في قوله: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ قال: جنتان من ذهب للسابقين، وجنتان من فضة للتابعين».

(٢) في كتابه صفة الجنة ص٤٨ برقم (٢٠) وفيه: زبرجدة بدل: زمردة، وفي آخره: ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ومَنْ يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ وليس فيه قوله: بناها. وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٣٩٢ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وقال الذهبي: «بل ضعيف». وللحديث طريق عن ابن عباس بلفظ قريب أورده المنذري في الترغيب ٤/٥١٣ وقال: «أورده الطبراني في الكبير والأوسط [٦/٢٤٢] بإسنادين أحدهما جيد».

(٣) في ظ: بلاطها، وهو غير مراد هنا، والصواب: ملاطها، قال في النهاية ٤/٣٥٧: «وفي صفة الجنة: «وملاطها مسك أذفر» الملاط: الطين الذي يُجعل بين سافي البناء، يُملط به الحائط: أي يخلط».

(٤) اللباب ١/ الورقة ٥٩.

(٥) في اللباب: «المملوك»، وهو الصواب، واستشكال المؤلف في محله. وهو مما انفردت به ب، فقد سكت في النسخ الأخرى، والكلمة في ظ: الحلول.

وإلى القول[١] بأنهما مخلوقتان[٢] ذهب جمهور الأمة، وذهب طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أنهما لم تُخلقا بعد، وبه قال منذر بن سعيد البلوطي[٣]، واحتجوا بقول امرأة فرعون ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾[التحريم:١١]، وبما جاء في الأحاديث الصحيحة: من عمل كذا غرس له في الجنة كذا[٤]. قالوا: لو كانت الجنة مخلوقة لم يكن للدعاء في استئناف الغرس والبناء فائدة.

وأجيب: بأنه لا مانع من أن يحدث الله في الجنة أشياء ينعم بها على عباده شيئاً بعد شيء، وحالاً بعد حال، فيحدث فيها ما شاء من البنيان والغرس، كما أن الأرض مخلوقة ثم يحدث الله تعالى فيها ما يشاء من بنيان وغيره.

والدليل على وجود الجنة الآن ما مر[٥]، وقوله تعالى: ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] وقوله تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾[٦] [النجم:١٤]، وقوله صلى الله عليه وسلم ـ في حديث الترمذي وصححه ـ: «لما خلق الله الجنة والنار أرسل

---

(١) من هنا إلى الاستدلال بحديث الترمذي الآتي مستفاد من الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (الكلام في خلق الجنة والنار) ٤ / ١٤١ ما عدا قول المؤلف: وأجيب.

(٢) في ظ و ع: الآن.

(٣) نسبة القول بأن الجنة والنار لم تخلقا بعد إلى منذر بن سعيد محل نظر فقد قال ابن حزم في الفصل ٤ / ١٤٢: «وكان القاضي منذر بن سعيد يذهب إلى أن الجنة والنار مخلوقتان إلا أنه كان يقول: إنها ليست التي كان فيها آدم عليه السلام وامرأته واحتج في ذلك بأشياء منها...» وقد نقل بعض كلامه في تفسيره ابن القيم في حادي الأرواح ص٤٩–٥٢ فانظره. ومنذر بن سعيد قاضي الجماعة بقرطبة في عصره توفي سنة ٣٥٥ هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٦ / ١٧٣.

(٤) مثال هذا ما جاء في الجامع للترمذي، أبواب الدعوات برقم (٣٤٦٤) عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير عن جابر» وأخرج الحديث آخرون كما في حاشية الجامع. وانظر الحديث الذي سيورده المؤلف عن الطبراني في كلامه على قوله تعالى: ﴿رزقنا من قبل﴾الآتي.

(٥) الآيتان بعد هذا ساقطتان من ب.

(٦) وتوضيح الاستدلال بهذا ما جاء في الفصل ٤ / ١٤١: «والبرهان على أنهما مخلوقتان بعدُ إخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى الجنة ليلة الإسراء، وأخبر عليه السلام أنه رأى سدرة المنتهى في السماء السادسة، وقال تعالى: ﴿عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى﴾ فصح أن جنة المأوى في [في الأصل: هي] السماء السادسة وقد أخبر الله عز وجل أنها الجنة التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة...».

جبريل عليه السلام إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. قال: فجاء ونظر إليها...» الحديث[١].

وذكرُ أدلة كل من الفريقين في هذه المسألة مما يطول، وقد أطال العلامة ابن القيم الكلام على ذلك في أول كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» فراجعه[٢].

قال الزمخشري[٣]: «والذي يقول إنها مخلوقة ـ يعني الجنة ـ يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة، وبمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام، كالنبي والرسول والكتاب» انتهى.

[و ٣٤] قلت: وعلى هذا التعليل فالصراط والميزان[٤] والحوض مخلوقة الآن لمجيئها على / نهج الأسماء الغالبة فتأمل فإنه جيد، وهو حق إن شاء الله تعالى[٥].

* * *

وأما قوله تعالى: ﴿**تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**﴾:

فاللام[٦] في (الأنهار) للجنس، كما في قولك: لفلان بستان فيه الماء الجاري، أو عوض من المضاف إليه على رأي بعض الكوفيين، كما في قوله تعالى: ﴿**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾[مريم: ٤][٧].

---

(١) الجامع للترمذي، أبواب صفة الجنة ٤/٣١٩ برقم (٢٥٦٠) وأخرجه آخرون كما في تخريجه هناك فانظره ـ إن شئت ـ وفي تصحيحه له كلام للمحقق فراجعه.

(٢) انظر الباب الأول إلى الباب الثامن منه، وقوله: «العلامة» من انفرادات ب.

(٣) في الكشاف ١/٢٥٦–٢٥٧.

(٤) سقط من ظ.

(٥) قوله: «وهو حق»... من زيادات ب.

(٦) هذه الأسطر الثلاثة من البحر المحيط ١/١١٣، واللباب ١/ق٦٠.

(٧) معنى هذا أن الأصل: واشتعل رأسي، فعوض «أل» عن ياء المتكلم. قاله السمين في الدر المصون ١/٢١٥ وأضاف: وهو مردود بأنه لو كانت «أل» عوضاً من الضمير لما جمع بينهما، وقد جمع بينهما، قال النابغة:

رحيبٌ قِطابُ الجيبِ منها رفيقةٌ بجسِّ الندامى بَضَّةُ المتجرِّدِ

فقال: الجيب منها...».

أو للعهد والإشارة إلى ما ذكر في قوله سبحانه: ﴿ **أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ**﴾[محمد: ١٥] الآية[١].

وفي «الكشاف»[٢]: «ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى، وأن الجنان والرياض وإن كانت آنق[٣] شيء وأحسنه لاتروق النواظر ولا تبهج الأنفس ولا تجلب الأريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء، وإلا كان الأنس الأعظم فائتاً، والسرور الأوفر مفقوداً، وكانت كتماثيل لا أرواح فيها، وصور لا حياة لها، لما جاء الله بذكر الجنات إلا[٤] مشفوعاً بذكر الأنهار الجارية من تحتها، مسوقين على قران واحد كالشيئين لابد لأحدهما من صاحبه، ولما قدمه على سائر نعوتها»[٥].

والنهر ـ بفتح الهاء وسكونها ـ: المجرى الواسع، فوق الجدول، ودون البحر، كالنيل والفرات[٦]. والمراد بها ماؤها على الإضمار، أو على المجاز، كما في سال الميزاب، يقال: جرى الماء يجري جرياً وجرية وجرياناً، أي: سال.

وفي «ابن عادل»[٧]: «وهل النهر هو مجرى الماء، أو الماء الجاري نفسه؟ الأول أظهر، لأنه مشتق من نهرت أي وسعت، ومنه النهار لاتساع ضوئه، وقوله عليه الصلاة السلام: «ما

---

(١) قوله: «الآية»: ساقط من ب. ولابد من القول أن نزول هذه الآية ـ حسب الظاهر ـ متقدم على نزول آية سورة محمد، فهذه من أوائل سورة البقرة، وهي من أول ما نزل في المدنية ـ كما هو معلوم ـ وعلى هذا ففي هذا القول نظر، لكن قال الآلوسي في الروح ١/٢٠٢: «وأل: للعهد الذهني، قيل: أو الخارجي لتقدم ذكر الأنهار في قوله تعالى: ﴿فيها أنهار من ماء﴾ الآية فإنها مكية على الأصح، وذي مدنية نزلت بعدها، واستبعده السيد والسعد». وانظر مزيداً من المعلومات في هذا في حاشية الخفاجي على البيضاوي ٢/٦٧.

(٢) ١/٢٥٧-٢٥٨.

(٣) في ع: أنقى!

(٤) لا توجد أداة الاستثناء في الطبعة التي تحت يدي، ولكنها وردت في نسخ معتبرة وهي مفسدة للمعنى كما قال الشريف الجرجاني في حاشيته ١/٢٥٨.

(٥) ومن تعابير أبي حيان اللطيفة: «ولما كانت الجنة لا تشوق، والروض لا يروق، إلا بالماء الذي يقوم لها مقام الأرواح للأشباح، ما كاد يجيء ذكرُها إلا مشفوعاً بذكر الأنهار مقدماً هذا الوصف على سائر الأوصاف» البحر المحيط ١/١١٣.

(٦) نظر المؤلف في هذا إلى الكشاف أيضاً ١/٢٥٨، وقد بيّن الزمخشري أن اللغة العالية بفتح الهاء.

(٧) اللباب ١/ق٦٠ والنقل باختصار.

أنهر الدم»[١] معناه: ما وسع المذبح حتى يجري الدم كالنهر.

فإن قيل بأن النهر اسم للماء الجاري، فنسبة الجري إليه حقيقة. وإن قيل للأخدود فنسبة الجري إليه مجاز» انتهى[٢].

و(تحت): بمعنى سفل، والمراد: تجري من تحت شجرها أو قصورها لا من تحت أرضها، وإنما نحتاج إلى هذا التقدير إذا قيل بأن الجنة هي الأرض ذات الشجر. وأما إذا قيل بأنها الشجر نفسه فلا حاجة إلى ذلك[٣].

وعلى كل تقدير فأنهار الجنة ليست تجري في أخدود، بل على وجه أرض الجنة منضبطة بالقدرة، لما روى أبو نعيم وابن مردويه والضياء عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض؟ لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض، حافتاها خيام اللؤلؤ، وطينها المسك الأذفر. قلت: يا رسول الله، ما الأذفر؟ قال: الذي لا خلط معه»[٤].

وأخرجه ابن أبي الدنيا عن أنس رضي الله تعالى عنه موقوفاً[٥]، قال المنذري[٦]: «وهو أشبه بالصواب». وروى الترمذي وصححه والبيهقي عن معاوية بن حيدة[٧] رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «إن في الجنة بحر الماء وبحر

(١) الحديث في الكتب الستة وغيرها انظر صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب إذا أصاب القوم غنيمة. الفتح ٩/٦٧٣ (الحديث ٥٥٤٣)، وصحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب جواز الذبح بكل ما أنهر الدم ٣/١٥٥٨ (الحديث ١٩٦٨). ونصه: «ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه».

(٢) يبدو أن الشيخ مرعياً لم يأخذ برأي ابن تيمية في هذا. انظر مجموع الفتاوى ٢٠/٤٦٤.

(٣) من اللباب ١/ق٦٠ وهو من الدر المصون ١/٢١٤.

(٤) هذا الحديث في الدر المنثور ١/٤٤، وهو عند أبي نعيم في حلية الأولياء ٦/٢٠٥ و صفة الجنة برقم (٣١٦) و (٣١٧) والأول موقوف على أنس، وعند ابن مردويه في «تفسيره» كما قال ابن القيم في حادي الأرواح ص٢٤٢، وعند الضياء المقدسي في «صفة الجنة» كما صرح السيوطي في الدر.

(٥) وإسناده ضعيف. انظر صفة الجنة ص٨٢ برقم (٦٩).

(٦) في المخطوطات الأربع: الترمذي، وهو تحريف، وليس الحديث عند الترمذي، والصواب ما أثبت، وقول المنذري هذا في كتابه الترغيب والترهيب كتاب صفة الجنة والنار ٤/٥١٨، ونصه: «رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً، ورواه غيره مرفوعاً، والموقوف أشبه بالصواب» ويبدو أن المؤلف نقل منه ولم يرجع إلى كتاب ابن أبي الدنيا.

(٧) في ع و ظ و ب: جندب، وهو خطأ، والتصحيح من الدر المنثور ٦/٥٤ والإصابة لابن حجر ٣/٤٣٢.

العسل وبحر اللبن وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار منها بعد »[١].

وروى ابن حبان والحاكم والبيهقي وابن أبي حاتم والطبراني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «أنهار الجنة تتفجر من جبل مسك»[٢].

«**لطيفة**»: روى الحارث بن[٣] أبي أسامة والبيهقي عن كعب رضي الله تعالى عنه قال: «نهر النيل نهر العسل في الجنة، ونهر دجلة نهر اللبن/ في الجنة، ونهر الفرات نهر الخمر في الجنة، ونهر سيحان نهر الماء في الجنة»[٤]. [و ٣٥]

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿**فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ**﴾ قال كعب في تفسير هذه الآية: نهر دجلة نهر مائهم، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأنهار تخرج من نهر الكوثر.

وفي كلام الإمام ابن حزم[٥] رحمه الله تعالى: ليس المراد أنّ هذه الأنهار الموجودة في الأرض هي التي في الجنة، بل هذه أسماء أنهار في الجنة يقال لها: النيل والفرات وسيحان ودجلة، كاسم السلسبيل والكوثر[٦].

(١) هذا في الدر المنثور (سورة محمد: الآية ١٥) ٦/٥٤. وهو في الجامع للترمذي في صفة الجنة ٤/٣٢٧ برقم (٢٥٧١) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والبعث للبيهقي ص١٦٩ برقم (٢٣٩)، وصحيح ابن حبان ١٦/٤٢٤ برقم (٧٤٠٩)، وغيرها.

(٢) الحديث في الدر المنثور ١/٤٣ معزواً هكذا، وهو في صحيح ابن حبان ١٦/٤٢٣ برقم (٧٤٠٨)، وقال محققه: إسناده حسن. والبعث والنشور للبيهقي ص١٨٣-١٨٤ برقم (٢٦٦)، والمعجم الأوسط للطبراني ٨/٣٦٣ (٨٨٧٩- الحرمين) ولم يورده كاملاً، ولم أجده في المستدرك للحاكم (حسب دلالة فهرسيه من إعداد الدكتور المرعشلي، وإعداد محمد سليم إبراهيم عمارة ومَنْ معه) ونقله ابن القيم عن الحاكم بسنده في حادي الأرواح ص٢٤١.

(٣) في النسخ الأربع: عن، وهو خطأ ظاهر.

(٤) ذكره ابن حجر في المطالب العالية ٤/٤٠٤ معزواً إلى الحارث وقال البوصيري: رواه الحارث مرسلاً، ورواته ثقات. وانظر البعث والنشور ص١٨٣ برقم (٢٦٤) وهو في الدر المنثور (سورة محمد: الآية ١٥) ٦/٥٤.

(٥) وصفه بـ«الإمام» في ع وب.

(٦) الذي رأيته في كلام ابن حزم في المحلى ٤/٢٨٤ المسألة (٩١٩) في المفاضلة بين مكة والمدينة أن هذه «الأنهار لبركتها أضيفت إلى الجنة، كما تقول في اليوم الطيب: هذا من أيام الجنة، وكما قيل في الضأن: إنها من دواب الجنة»اهـ. ولعل هذا المذكور هنا توجيه آخر في مكان آخر.

وقد أطلت الكلام على ذكر أنهار الجنة وعيونها وما أعد الله تعالى لعباده المؤمنين فيها في كتابنا بهجة الناظرين وآيات المستدلين فراجعه تظفر بالمراد[١].

* * *

وأما قوله تعالى ﴿ **كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا** ﴾:

فقال النحويون[٢]: كلما منصوبة على الظرفية باتفاق، وناصبها الفعل الذي هو جواب وهو هنا (قالوا) وجاءتها الظرفية من جهة (ما) فإنها محتملة لوجهين:

أحدهما: أن تكون حرفاً مصدرياً، والجملة بعده صلة فلا محل لها، والأصل: كل وقت رزق[٣].

والثاني: أن تكون اسماً نكرة بمعنى وقت، فلا تحتاج على هذا إلى تقدير وقت والجملة بعده في موضع خفض على الصفة، فتحتاج إلى تقدير عائد، أي كل وقت رزقوا فيه[٤]، ولهذا الوجه مبعد وهو ادعاء حذف عائد[٥] الصفة وجوباً، حيث لم يرد مصرحاً به في شيء من أمثلة هذا التركيب، ومن هنا ضعف قول أبي الحسن الأخفش[٦] في نحو: «أعجبني ما قمت»: إن «ما» اسم، والأصل: ما قمته، أي القيام الذي قمته. وقوله في «يا أيها الرجل»: إن «أيّاً»[٧] موصول، والمعنى: يا من هو الرجل، فإن هذين العائدين لم يلفظ بهما قط[٨]، ولو صح ما ذكر لجاز ذلك، لأن الأصل أن العائد يكون مذكوراً لا محذوفاً، وهنا مباحث أخر ليس هذا محلها.

---

(١) في د و ظ و ع: «وقد أطلنا الكلام... وعيونها في غير هذا الموضع» من غير تصريح.

(٢) القائل ابن هشام في مغني اللبيب (في آخر الكلام على كل) ١/٢٢٦.

(٣) في المغني: «والأصل: كل رزق، ثم عبر عن معنى المصدر بما والفعل، ثم أنيب عن الزمان، أي كل وقت رزق، كما أنيب عنه المصدر الصريح في: جئتك خفوق النجم».

(٤) في ظ: فيها!

(٥) سقطت هذه الكلمة من «المغني» من طبعة محمد محيي الدين ومن الطبعة التي معها حاشية الأمير ١/١٧١.

(٦) قوله: «الأخفش» من توضيح المؤلف.

(٧) في ع: يا!

(٨) إلى هنا ينتهي النقل من «المغني».

وقال المنطقيون: «كلما» تقتضي عموم الأفعال، كما أن «كل» تقتضي عموم الذوات[١].

وقال الخطيون[٢]: «كلما» إذا كانت ظرفاً كتبت «ما» معها متصلة نحو: كلما جئتني أكرمتك وكما هنا، وإن كانت اسماً كتبت منفصلة نحو: كل ما عندي لك، وكل ما في الدنيا فانٍ[٣]. و«كلما رزقوا» لا يخلو[٤] إما أن يكون صفة ثانية لـ«جنات»، أو خبر مبتدأ محذوف، أو جملة مستأنفة، لأنه لما قيل (أن لهم جنات) لم يخل قلب[٥] السامع أن يقع فيه: هل ثمار تلك الجنات تشبه أثمار الدنيا أم أجناس أخر؟ فقيل: إن ثمارها أشباه ثمار الدنيا، أي: أجناسها أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله تعالى.

بل قال شيخ الإسلام وحافظ زمانه[٦] تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى: «قد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء[٧]، وقد أخبر الله تعالى أنه لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين». انتهى[٨].

و(من) الأولى والثانية للابتداء، واقعتان موقع الحال، كأنه قيل: كل وقت رزقوا مرزوقاً مبتدأ من الجنات، مبتدأ من ثمرة، فصاحب الحال الأولى / : رزقاً، وصاحب الثانية: [و ٣٦]

---

(١) انظر عن «كل» و«كلما» النهر الماد (المطبوع بهامش البحر المحيط) ١ /٨٩، والدر المصون للسمين ١ /١٧٩، والبرهان للزركشي ٤ /٢٨٠، والإتقان للسيوطي النوع (٤٠) ٢ /٢٢٠–٢٢١ والكليات للكفوي ص٧٤٤ – ٧٤٥.

(٢) في د: «قال أهل العربية» ولم يذكر قول ابن هشام ولا المناطقة.

(٣) «فان» سقط من ظ. وفي مناهل العرفان للزرقاني ١ /٣٧٣ - وأصله في الإتقان ٤ /١٥٦ -: «وكلمة «كل» توصل بكلمة «ما» التي بعدها، إلا قوله سبحانه: ﴿كل ما ردوا إلى الفتنة﴾ [النساء: ٩١] و﴿من كل ما سألتموه﴾ [إبراهيم: ٢٤]».

(٤) من هنا قوله: «إلا الله تعالى» من الكشاف ١ /٢٥٩. وأورد أكثره ابن عادل في اللباب ١ /ق٦٠.

(٥) في الكشاف: خَلَد، وفي اللباب ١ /ق٦٠ كما هنا.

(٦) قوله: وحافظ زمانه من زيادات ب.

(٧) قال السيوطي في الدر المنثور ١ /٨٢ (ط العلمية): «أخرجه مسدد في مسنده وهناد في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث» وانظر الفتح السماوي للمناوي ١ /١٥٠.

(٨) انظر مجموع الفتاوى ٥ /٣٤٧–٣٤٨ و ١٣ /٢٧٨ و٣٧٩، وليس النص في هذه المواضع بلفظه هنا تماماً، ولعله في مكان آخر خفي عليَّ.

ضميره المستكن في الحال[١]. فهو كما قال الزمخشري[٢]: «بمنزلة قولك: رزقني فلان فيقال لك: من أين؟ فتقول: من بستانه، فيقال: من أي ثمرة رزقك من بستانه؟ فتقول: من الرمان. وتحريره: أن الرزق جعل مبتدأ من الجنات، والرزق من الجنات مبتدأ من ثمرة»[٣].

وفي «تفسير» ابن عادل[٤]: «(منها) متعلق برزقوا، وكذلك (من ثمرة) لأنها بدل من قوله (منها) بدل اشتمال، بإعادة العامل. وجوز الزمخشري[٥] أن يكون (من ثمرة) بياناً على منهاج قولك: رأيت منك أسداً. قال ابن عادل[٦]: وفيه نظر لأن من شرط ذلك أن يحل محلها الموصول، وأن يكون ما قبلها محلى بأل الجنسية ـ يعني كما في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾ [الحج:٣٠] ـ[٧] وأيضاً: فليس قبلها شيء يتبين بها، وكونها بياناً لما بعدها بعيد جداً، وهو غير المصطلح عليه.

و(رزقاً) مفعول ثان لرُزقوا، وهو بمعنى مرزوق، وكونه مصدراً بعيد لقوله: (هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً) والمتشابه هو المرزوق»[٨].

و«ثمرة» جمعها: ثمر، وجمع ثمر: ثمار، وجمع ثمار: ثمر ـ بضم الميم وسكونها ـ وجمع ثمر: أثمار.

وأثمار الجنة وأشجارها كثيرة لا يحيط بها إلا خالقها، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن:٥٢]: مافي الدنيا ثمرة حلوة

(١) من قوله: «ومن الأولى» إلى هنا مأخوذ من تفسير أبي السعود ١/٦٩.

(٢) في الكشاف ١/٢٦٠.

(٣) العبارة الأخيرة في الكشاف: «تحريره أن رزقوا جُعل مطلقاً مبتدأ من ضمير الجنات، ثم جعل مقيداً بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة...» وقدأحسن المؤلف بتعبيره عن مراد الزمخشري.

(٤) ١/ق ٦٠ وهو إلى قوله: «والمتشابه هو المرزوق» في الدر المصون للسمين الحلبي ١/٢١٦ . وفي د: «وقيل: (منها)».

(٥) الكشاف ١/٢٦٠ وبيّن الزمخشري أنه وجه آخر.

(٦) حقيقة هذا الرد للسمين.

(٧) ما بين المعترضتين ليس في اللباب ولا الدر المصون فهو من توضيح المؤلف، مستفاد من البحر المحيط ١/١١٤ أيضاً.

(٨) العبارة الأخيرة مختصرة وأصلها كما في الدر المصون: «والمصدر لا يؤتى به متشابهاً، وإنما يؤتى بالمرزوق كذلك».

ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل[(١)]. وقال كثير من المفسرين[(٢)] في قوله سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦]: أي بستانان من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، ترابهما الكافور والعنبر، ودقاقهما المسك الأذفر، كل بستان مئة سنة، وفي وسط كل بستان دار من نور، جنة لخوف ربه، وجنة لترك شهوته.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: نخل الجنة ذهب أحمر، وعروقها زمرد أخضر، وثمرها كالقلال، أحلى من الشهد، وألين من الزبد، لا عجو[(٣)] لها.

وروى البيهقي[(٤)] بسند حسن عن سلمان رضي الله تعالى عنه أنه أخذ عوداً صغيراً ثم قال: لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تبصره. قيل: فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب، وأعلاه الثمر.

وروى[(٥)] سعيد بن منصور والبيهقي[(٦)] عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ [الإنسان:١٤] قال: إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضطجعين، على أي حالة شاؤوا.

ورويا[(٧)] أيضاً عن مجاهد قال: أرض الجنة من ورق، وترابها مسك، وأصول شجرها ذهب وورق، وأفنانها اللؤلؤ والزبرجد والورق، والثمار[(٨)] بين ذلك فمن أكل قائماً لم تؤذه، ومن أكل مضطجعاً لم تؤذه، ومن أكل جالساً لم تؤذه ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا﴾[(٩)].

وفي «تفسير» القرطبي[(١٠)] في قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا﴾: «أي ظل

(١) هذا من الدر المنثور (سورة الرحمن: الآية ٥٢) ٦/١٦٣.

(٢) في ظ و ع: وقال المفسرون.

(٣) في ظ و ع: لا عجم.

(٤) في البعث والنشور ص١٩١ برقم (٢٨٨) وأصله في الدر المنثور ٦/١٥٠ (دار المعرفة) والنص هنا مختصر.

(٥) هذا النص والذي بعده من الدر المنثور (سورة الإنسان) ٦/٣٣٤

(٦) في البعث والنشور ص ١٩١ برقم ٢٨٥.

(٧) انظر البعث للبيهقي ص١٩١ برقم ٢٨٦.

(٨) في البعث زيادة: والشجر.

(٩) ذكر هذا القول بدون تخريج القرطبي في تفسيره ١٩/١٣٩ وفيه: «وترابها الزعفران، وطيبها مسك أذفر» و«الثمر تحت ذلك كله».

(١٠) ١٩/١٣٨-١٣٩ (الإنسان: ١٤).

الأشجار في الجنة قريب من الأبرار، فهي مُظِلة عليهم زيادة في نعيمهم، وإنْ كان لاشمس هناك ولا قمر، كما أن أمشاطهم الذهب والفضة، وإن كان لا وسخ ولا/ شعث ثم، [و ٣٧] ويقال[١]: إنَّ ارتفاع الأشجار في الجنة مقدار مئة عام، فإن اشتهى ولي الله ثمرتها تدانت منه حتى يتناولها».

وقال[٢]: ﴿ وَذُلِّلَتْ ﴾ أي سخرت لهم ﴿ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً ﴾ أي تسخيراً، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع، قال مجاهد: إن قام أحد ارتفعت له، وإن جلس تدلت عليه، وإن اضطجع دنت منه فأكل منها. وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه: إذا همّ أن يتناول[٣] من ثمراتها تدلت إليه حتى يتناول منها ما يريد. وتذليل القطوف هو تسهيل التناول». رزقنا الله ذلك بمنه وكرمه آمين[٤].

* * *

وأما قوله تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾:

ففي «الكشاف»[٥] للزمخشري: «كيف قيل: هذا الذي رزقنا من قبل، وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا؟

قلت: إن معناه هذا مثل الذي رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله تعالى: ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾، وهذا كقولك: أبو يوسف أبو حنيفة، لاستحكام[٦] الشبه كأنّ ذاته ذاته».

و(قبلُ) مبني على الضم، لأنه حذف المضاف إليه ونوي ثبوت معناه.

قال النحاس: واختلف النحويون في علة ضم «قبل» و«بعد» على بضعة عشر قولاً[٧].

(١) في ب: «وإن كان لا وسخ ثم ولا شعث ثم يقال...» وأثبت ما في ع وهو الموافق للتفسير.

(٢) أي القرطبي في الموضع المعزو إليه ١٩/ ١٣٩، والنقل باختصار.

(٣) في ع هنا: مال! وهو زيادة لا معنى لها.

(٤) هذا الدعاء في ب فقط.

(٥) ١/ ٢٦٠ – ٢٦١ بتصرف يسير.

(٦) في ب: لاحتكام. وأثبت ما في ظ وع والكشاف.

(٧) تفسير الآية (٢٥) من سورة البقرة من جملة الساقط من تفسيرها في كتابه «معاني القرآن» ورجعت إلى كتابه الآخر «إعراب القرآن» فلم أجد هذا القول، وقد نظرت أكثر من موضع، ولتنظر رسالته «التفاحة» في النحو.

وليس هذا محله.

وقوله: (رزقنا من قبل) فيه ثلاثة أقوال للمفسرين[١]:

«أحدها: أن المعنى: هذا الذي طعمنا من قبل ـ يعني في الجنة ـ فرزق الغداة كرزق العشي، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه والضحاك ومقاتل» لأن طعام الجنة متشابه الصور كما يحكى عن الحسن رضي الله عنه[٢] أنّ أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها، ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى فيقول ذلك! فتقول الملائكة: كُل فاللون واحد، والطعم مختلف.

«الثاني: (هذا الذي رزقنا من قبل) يعني في الدنيا» قاله ابن مسعود وابن عباس أيضاً وقتادة «ومجاهد وابن زيد»[٣] أي قالوا: هذا الذي رزقناه من ثمرات الجنة مثل الذي كنا رزقناه من ثمار الدنيا، أي في الصورة والاسم، وإلا فقد ثبت عن ابن عباس أنه قال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء. كما تقدم.

وإنما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس إليه حين تراه، فإن الطباع مائلة إلى المألوف نافرة عن غير المعروف. وبيانه[٤]: أن الإنسان بالمألوف آنس، وإلى المعهود أميل، وإذا رأى مالم يألفه نفر عنه طبعه، وعافته نفسه، ولأنه إذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد، وتقدم له معه إلف، ورأى فيه مزية ظاهرة، وفضيلة بينة، وتفاوتاً بينه وبين ما عهد بليغاً أفرط ابتهاجه[٥] واغتباطه، وطال استعجابه واستعذابه[٦]، وتبين له كنه النعمة فيه، وتحقق

---

(١) هكذا قال ابن الجوزي في زاد المسير ١/ ٥٢ وقد أخذ المؤلف كل ما قاله وزاد عليه فما كان بين هلالين صغيرين فهو من الزاد.

(٢) المحكي عن الحسن أورده بهذا التعبير أبو السعود في تفسيره ١/ ٦٩، ولكن رواه الطبري في تفسيره ١/ ٣٨٧ برقم (٥١٨) عن يحيى بن أبي كثير من قوله.

(٣) انظر الروايات عن ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومجاهد وابن زيد في تفسير الطبري ١/ ٣٨٦ من الرقم (٥١٢) إلى (٥١٦).

(٤) من هنا إلى قوله «من غير عهد سابق» مأخوذ من الكشاف ١/ ٢٦١ بشيء من التصرف والاختصار. وفي هذا الموضوع كلام للشيخ زاده والخفاجي في حاشيتيهما على البيضاوي، فانظر حاشية زاده ١/ ٢١٠-٢١١ وعناية القاضي ٢/ ٧١-٧٢.

(٥) في ع: اجتهاده. وهو تحريف.

(٦) في ظ و ع والكشاف: واستغرابه.

مقدار الغبطة به.

ولو كان من جنس لم يعهده وإن كان فائقاً حَسِبَ أنَّ ذلك الجنس لا يكون إلا[١] كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين، بخلاف ما إذا رأوا شيئاً فائقاً من[٢] جنس ما رأوه سابقاً فيكون ذلك أبين للفضل وأظهر للمزية، وأجلب للسرور، وأزيد في التعجب من أن يفاجئوا بذلك الشيء من غير عهد / سابق. [و ٣٨]

«الثالث: إن ثمر الجنة إذا جُني خلفه مثله، فإذا رأوا ما خلف المجنى اشتبه عليهم المجني فقالوا هذا الذي رزقنا من قبل. قاله يحيى بن أبي كثير وأبو عبيدة»[٣].

قال أبو عبيدة: إن نخل الجنة نضيد ما بين أصله إلى فرعه، وثمرها كأمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى[٤].

«**لطيفة**»: أخرج الطبراني[٥] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: ما من عبد يسبح الله تسبيحة، أو يحمده تحميدة، أو يكبره تكبيرة إلا غرس الله له بها شجرة في الجنة، أصلها من ذهب وأعلاها من جوهر مكللة بالدر والياقوت، ثمارها كثدي الأبكار، ألين من الزبد وأحلى من العسل، كلما جنى منها شيئاً عاد مكانه مثله[٦]. ثم تلا ﴿ **لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ** ﴾[الواقعة:٣٣].

* * *

(١) قوله: «الجنس لا يكون إلا» سقط من ظ.

(٢) في ظ: عن.

(٣) انظر الرواية عن يحيى بن أبي كثير وأبي عبيدة في تفسير الطبري ١/٣٨٦-٣٨٧ برقم (٥١٧) و(٥١٨)، وقد سبق قول يحيى محكياً عن الحسن، وأورد المؤلف قول أبي عبيدة كما ترى. وأبو عبيدة هو ابن عبدالله بن مسعود. انظر التفسير الصحيح ١/١٢٦.

(٤) وفي تفسير المنار ١/١٩٥: «وذهب بعض المفسرين إلى ما قلناه أولاً من أن ذلك الرزق هو عين ما وُعدوا به جزاءً على أعمالهم، فكلما رزقوا ثمرة منه يذكرون الوعد الإلهي شكراً لله على توفيقهم لذلك العمل الذي له أُعد هذا الجزاء، كما تفيده آية ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾، فهو من قبيل ارتباط الموعود به بالموعود عليه، كأن الأعمال عين الجزاء ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ وهذا هو الراجح الذي اختاره شيخنا» ـ يريد الشيخ محمد عبده ـ وهذا الذي نقله عن بعض المفسرين نقله ابن عطية في المحرر الوجيز ١/٢٠٩ ولم يفصح باسم قائله.

(٥) في المعجم الأوسط ٣/٢٨٧ برقم (٣١٧١) (دار الحرمين) و٤/١٢٣ (٣١٩٥) (الطحان)

(٦) ليس في المعجم الأوسط، ولا في د: مثله.

وأما قوله تعالى : ﴿ وأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ :

فالظاهر أنها جملة مستأنفة، وكلام الزمخشري يشعر بأنها معترضة . وقيل : هي عطف على قالوا [١] . وأتوا ـ بالبناء للمجهول في قراءة العامة ـ بمعنى جيئوا به . وقرأ هارون بن موسى : « وأتوا » ـ بفتح الهمزة ـ بالبناء للفاعل، أي الخدم والولدان أتوا بالرزق[٢] .

و(متشابهاً) : منصوب على الحال من الضمير في (به) العائد على الرزق، بمعنى : المرزوق . والمتشابه من الشِبْه والشَبَه[٣] وهما كالمِثل والمَثَل، والتشبيه : التمثيل، والمشابهة : المماثلة، والأمور المتشابهات : المشكلات، والمتشابه : المتماثل، وحقيقة المتشابه : الذي فيه شبه من غيره، حتى يكاد لا يتميز منه .

وفي قوله تعالى هنا (متشابهاً) أربعة أقوال للمفسرين[٤] :

أحدها : أنه متشابه أي متماثل في المنظر واللون، مختلف في الطعم، قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والربيع بن أنس وأبو العالية والضحاك والسدي ومقاتل[٥] .

الثاني : أنه متشابه أي متماثل في جودته، لا رديء فيه ولا فاسد ولا متغير، بل كله خيار، يشبه بعضه بعضاً، قاله الحسن وقتادة وابن جريج[٦] .

الثالث : أن التشابه إنما هو في الأسماء فقط، دون الألوان والطعوم، قاله أبو زيد[٧]

---

(١) هذا مستفاد من اللباب ١ /ق٦٠ وهو من الدر المصون ١ /٢١٧، وفي ظ : «على ما قالوا» والظاهر أن «ما» من زيادة الناسخ .

(٢) انظر هذا في البحر المحيط ١ /١١٥، واللباب ١ /ق٦٠، والقراءات الشاذة لابن خالويه ص٣ .

(٣) في ع : المشّبه!

(٤) أورد ابن الجوزي في زاد المسير ١ /٥٣ ثلاثة أقوال، وقد أخذها المؤلف وزاد عليها قولاً رابعاً، هو الثالث هنا، وزاد بعض الأسماء والإيضاح، وكان اقتصر على ثلاثة أقوال في د .

(٥) لم يذكر ابن الجوزي ابن عباس وابن مسعود والربيع، وإن شئت أسانيد القول عنهم وعن مجاهد فانظر تفسير الطبري ١ /٣٩٠–٣٩١ الأرقام (٥٢٤–٥٢٩) وهو القول الثاني عنده . وقد روى ابن أبي حاتم هذا عن أبي العالية ثم قال : وروي عن مجاهد والضحاك والربيع بن أنس والسدي نحو ما حكيناه عن أبي العالية . انظر التفسير الصحيح ١ /١٢٦ . والسدي : ذكر في د و ب وسقط من ظ و ع .

(٦) لم يذكر قتادة في زاد المسير، وهو مذكور مع الحسن وابن جريج في تفسير الطبري ١ /٣٨٩–٣٩٠ في الأرقام (٥١٩–٥٢٣) (القول الأول) .

(٧) كذا في النسخ الثلاث ـ وليس هذا في د ـ ولعل الصواب ابن زيد وهو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، والرواية عنه في ذلك عند الطبري ١ /٣٩٢ برقم (٥٣٦) (القول الخامس) . وبما استصوبته جاء في تفسير

والأشجعي[١]، فلا تشبه ثمار الجنة شيئاً من ثمار الدنيا في لون ولا طعم، وإنما تتفق أساميها لاغير، وفي ذلك ترغيبهم في وجود لذات لم يعهدوها ولم يقفوا على غايتها.

الرابع: إنه يشبه ثمار الدنيا في الخلقة والاسم والطعم، غير أنه أحسن في المنظر والمطعم، قاله قتادة وابن زيد[٢] ويحيى بن سعيد ومحمد بن كعب ومجاهد أيضاً. وفي ذلك ترغيبهم في طلب ما عرفوه في الدنيا بلونه وطعمه، وزيادة نشاط لهم حيث وجدوا ما اتفقت صورها وتفاوتت معانيها.

فإن قيل[٣]: فما وجه الامتنان بتشابهه وكلما تنوعت المطاعم واختلفت ألوانها كان أحسن؟ والجواب ما مرّ من أنه متشابه في المنظر مختلف في الطعم، وما كان كذلك كان أغرب عند الخلق وأحسن، فإنك لو رأيت تفاحة فيها طعم سائر الفواكه كان نهاية في العجب[٤]. وإن قلنا: إنه متشابه في الجودة/ جاز اختلافه في الألوان والطعوم. وإن قلنا: إنه يشبه صورة ثمار الدنيا مع اختلاف المعاني كان أظرف وأعجب، وكل هذه مطالب مؤثرة[٥]. [و ٣٩]

* * *

وأما قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾:

فأزواج جمع زوج وهو لغة: البعل، ويطلق على الذكر والأنثى، كما يأتي[٦]، ويطلق

الطوسي: التبيان ١/١٠٩ مقروناً بالأشجعي ولم أجد ذلك في غيره. وروى الطبري هذا أيضاً عن ابن عباس (الرقم ٥٣٤ و٥٣٥) وإسناده صحيح. انظر التفسر الصحيح ١/١٢٦.

(١) لعله الإمام الحافظ عبيد الله بن عبدالرحمن الكوفي نزيل بغداد المتوفى سنة ١٨٢هـ المترجم في السير ٨/٥١٤، وقد ذكر في ترجمة صاحبه إبراهيم بن أبي الليث في تاريخ بغداد ٦/١٩٣ أن له تفسيراً. ولم يترجم في طبقات الداودي . والأشجعي يروي تفسير سفيان الثوري. (انظر فتح الباري ٨/٤٣٠) وربما كان هذا هو المقصود بتفسيره، والله تعالى أعلم.

(٢) عزا إليهما ابن الجوزي في الزاد ١/٥٣.

(٣) من هنا إلى قوله: «مطالب مؤثرة» من كلام ابن الجوزي في زاد المسير ١/٥٣!

(٤) أفاد ابن الجوزي هذا من الزجاج انظر معاني القرآن وإعرابه ١/١٠٢.

(٥) وقال الآلوسي في الروح ١/٢٠٥: «والحكمة في التشابه أن النفس تميل إلى ما يستطاب وتطلب زيادته:

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره ... هو المسك ما كررته يتضوع

وهذا مختلف بحسب الأحوال والمقامات، أو لتبيين المزية وكنه النعمة فيما رزقوه هناك، إذ لو كان جنساً لم يعهد ظن أنه لا يكون إلا كذلك، أو في الجنة».

(٦) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٣٤.

أيضاً على الذكر والأنثى من كل حيوان قال تعالى: ﴿ **فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ** ﴾[المؤمنون:٢٧] ، وعلى الشفع من كل شيء، قال تعالى: ﴿ **وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ** ﴾ [الذاريات:٤٩]، وعلى الصنف: قال تعالى: ﴿ **وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً** ﴾ [الواقعة:٧]، واللون: قال تعالى: ﴿ **مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ** ﴾ [الحج: ٥ وغيرها] أي لون حسن، والقرين: قال تعالى: ﴿ **احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ** ﴾ [الصافات:٢٢][١] .

قال الفراء[٢]: أهل الحجاز يقولون لامرأة الرجل: زوج، ويجمعونها على[٣] أزواج ـ يعني ـ وهذه هي اللغة الفصيحة التي جاء بها القرآن. وتميم وكثير من قيس وأهل نجد يقولون: زوجة، ويجمعونها على زوجات[٤] ، أنشد أبو الجراح:

يا صاحِ بَلِّغ ذوي[٥] الزوجاتِ كلَّهُمُ   أَنْ ليس وصلٌ إذا انحلتْ عُرى الذنبِ

وزعم الأصمعي أن العرب لا تكاد تقول زوجة[٦].

وفي «تهذيب الأسماء واللغات»[٧]: «أهل نجد يقولون: زوجة للمرأة، وأهل مكة والمدينة يتكلمون بذلك أيضاً»[٨].

وثبت في صحيحي البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صفة أهل الجنة: لكل واحد منهم زوجتان. هكذا هو في الصحيحين بالتاء[٩]، وفي صحيح مسلم[١٠] أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: هذه زوجتي فلانة ـ يعني: صفية ـ في

(١) في الأشباه والنظائر لهارون بن موسى المنسوب ـ خطأ ـ إلى مقاتل بن سليمان ثلاثة وجوه وهي: الحلائل والأصناف والقرناء. انظر ص٢٣٤–٢٣٥ . وللمزيد انظر كتابي ابن الجوزي في الوجوه والنظائر وهما مطبوعان.

(٢) لم أجد قوله هذا في كتابه معاني القرآن.

(٣) سقط «على» من د وع وب.

(٤) «ويجمعونها على زوجات» سقط من ب.

(٥) في ظ: أبو وهو خطأ، والتصحيح من ع و ب و لسان العرب ٢/٢٩٢.

(٦) انظر لسان العرب ٢/٢٩٢، واللباب ١/ق٦١.

(٧) ٣/١٣٧.

(٨) نقل النووي رحمه الله هذا ـ مصرحاً به ـ عن أبي حاتم السجستاني في كتابه المذكر والمؤنث.

(٩) انظر صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة الرقم (٣٢٤٥) (الفتح ٦/٣١٨) وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب أول زمرة تدخل الجنة ٤/٢١٨٠، الرقم (٢٨٣٤).

(١٠) في كتاب السلام ٤/١٧١٢ برقم (٢١٧٤).

حديثه الطويل الذي قال فيه: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم».

والمعنى هنا: ولهم في الجنات زوجات، وهن نساء الدنيا، وحور الجنة جميعاً، ليتم لهم بذلك الأنس والبسط والراحات، وتهنا لهم الجنة والأطعمة والأشربة والكرامات.

وقوله سبحانه: (أزواج) -بصيغة الجمع- فيه إشارة إلى تعدد الأزواج في الجنة، وهو كذلك لما أخرج الشيخان البخاري ومسلم[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنهم تذاكروا: الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال: ألم يقل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ما في الجنة أحد إلا وله زوجتان، إنه ليرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة، ما فيها عَزَبٌ[٢].

وروى الترمذي وصححه و البزار[٣] عن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «يزوج العبد في الجنة بسبعين زوجة. فقيل: يا رسول الله: أيطيقها؟[٤] قال: يعطى قوة مئة».

وروى إمامنا أحمد والترمذي[٥] عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف

(١) انظر التعليق قبل السابق، والمذاكرة الآتية في صحيح مسلم ٤/٢١٧٨، برقم (٢٨٣٤) والنص فيه «لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يُرى مخ سوقهما من وراء اللحم، ومافي الجنة أعزب»، وليس في حديث أبي هريرة عند البخاري هذه المذاكرة. وأما النص القريب من النص المذكور هنا فقد أخرجه أحمد ٣/١٦ والترمذي ٤/٢٨٩ و٢٩٩. ولفظه: «لكل رجل منهم زوجتان، على كل زوجة سبعون حلة يبدو مخ ساقها من ورائها» وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ونازعه المحقق.

(٢) قال النووي في شرحه على مسلم ١٧/١٧٠: «في جميع نسخ بلادنا: أعزب -بالألف- وهي لغة، والمشهور في اللغة: عزب بغير ألف، ونقل القاضي [عياض] أن جميع رواتهم رووه بغير ألف إلا العذري فرواه بالألف، قال القاضي: وليس بشيء» ا.هـ باختصار يسير وانظر بحثاً مفيداً في ذلك في مقدمة «العلماء العزاب» للأستاذ الشيخ عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى ص٣٤-٣٨.

(٣) في ظ: وصححه البزار! و الحديث في الدر المنثور ١/٤٥ وانظر الجامع للترمذي ٤/٢٩٩ برقم (٢٥٣٦) وهو الذي صححه إذ قال: «هذا حديث صحيح غريب لا نعرفه من حديث قتادة عن أنس إلا من حديث عمران القطان» ولكن في عمران كلام كما في حاشيته، والحديث رواه البزار كما قال المؤلف، انظر كشف الأستار، الرقم (٣٥٢٦) وإليه عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٤١٧ وقال: «وفيه من لم أعرفهم».

(٤) من قوله: «قال» ... إلى هنا سقط من ع.

(٥) انظر مسند أحمد ٣/٧٥، والجامع ٤/٣٢١ برقم (٢٥٦٢)، والحديث أخذه المؤلف من الدر المنثور ١/٤٥.

خادم واثنتان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء»[١]. جعلنا الله من أهل الجنة. آمين[٢].

* * *

وأما قوله تعالى: ﴿ مُّطَهَّرَةٌ ﴾:

فهذه هي قراءة الجمهور، وقرأ ابن مسعود وزيد بن علي: «مطهرات» لأنه نعت للنسوة، وهي جمع زوج، وهما لغتان فصيحتان، يقال: النساء فعلن، وهن فاعلات [و ٤٠] وفواعل/ والنساء فعلت، وهي فاعلة[٣]، فالجمع على اللفظ، والإفراد على تأويل الجماعة[٤]، أي جماعة أزواج مطهرة[٥]. وقراءة الجمهور أفصح، لأن الأكثر المسموع[٦] من العرب في نعت الجمع القليل: الألف والتاء، وفي نعت الجمع الكثير: الهاء[٧] وحدها، يقال: أحمر مستنفرات، وحمر مستنفرة، وبيوت خاوية.

ولم يقل: طاهرة، لما قال الزجاج[٨]: إن مطهرة أبلغ من طاهرة، لأنه للتكثير.

وفي «الكشاف»[٩]: «فإن قلت: فهلا قيل: طاهرة؟ قلت: في (مطهرة) فخامة [لصفتهن][١٠] ليست في طاهرة، وهي الإشعار بأن مطهراً طهرهن، وليس ذلك إلا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين أن يخولهم كل مزية فيما أعد لهم» انتهى.

والطهارة: النظافة والنزاهة[١١]، والفعل منها: طَهَرَ ـ بالفتح ـ ونقل الضم. واسم الفاعل

---

(١) هذا لفظ الترمذي، وليس فيه: إنَّ، وفيه: إلى صنعاء.

(٢) الدعاء في ب فقط.

(٣) هذا من الكشاف ١/٢٦٢ ولكن ليس فيه نسبة هذه القراءة إلى ابن مسعود كما لم يُذكر في معجم القراءات القرآنية ١/١٨٣.

(٤) وهذا من تفسير أبي السعود ١/٧٠.

(٥) من الكشاف ١/٢٦٢.

(٦) في ظ: من المسموع.

(٧) سقطت من ع.

(٨) نَقَلَ هذا عن الزجاج ابنُ الجوزي في الزاد ١/٥٣، وهو في معاني القرآن وإعرابه ١/١٠٢.

(٩) ١/٢٦٢.

(١٠) زيادة من الكشاف.

(١١) قوله: والنزاهة في ب فقط.

منها: طاهر[١]. والطهارة: خلاف الدنس، والتطهير: التنزه عن الإثم والقبح.

واختلف في تطهير نساء الجنة:

فقيل: مطهرات الأبدان في الخلقة، هن من المسك والكافور والعنبر والزعفران لا من التراب والمني والعلقة.

وقيل: مطهرات الأبدان في الحال، فليس تحت الجلود دم ولا قيح، ولا في البطون مافي بطون البشر[٢].

وقيل: مطهرات الأبدان عن الأمراض والأعراض من الورم والدرن والصداع وسائر الأوجاع.

وقيل: مطهرات الأبدان عن الولادة.

وقيل: مطهرات الأبدان عما يخرج منها من بول أو مني أو غائط أو حيض أو نفاس أو مخاط أو بلغم.

وقيل: مطهرات الأفعال فلا يصاخبن ولا يجادلن ولا يعترضن ولا يُعرضن ولا يغلظن القول ولا يسئن الفعل ولا ينشزن.

وقيل: مطهرات الأخلاق فلا يحسدن ولا يحقدن ولا يبغضن ولا يغرن[٣].

وقيل: مطهرات من استرابة القلوب بهن فلا يملن إلى غير أزواجهن، ولا يقع في قلوب الرجال ما ينفر طباعهم عنهن[٤].

قلت: كل من هذه الأقوال صحيح في حقهن، فهن ـ رزقنا الله أزواجاً منهن ـ مطهرات من الغائط والبول والحيض والنفاس والدرن والمخاط والبزاق والمني والقيء والولد ودنس الطبع

---

(١) قوله: والطهارة إلى هنا من اللباب ١/ق٦١ و الدر المصون ١/٢١٩.

* (٢) في ب: حاشية: قوله: ما في بطون البشر. أي في الدنيا، وأما الآخرة فلا يبقى في بطون البشر فضلات ولا قذر.

(٣) في ع: ولا يغدرن

(٤) انظر في هذا تفسير عبدالرزاق ١/٤١، وتفسير الطبري ١/٣٩٥-٣٩٧، وزاد المسير ١/٥٣، وحادي الأرواح ص٢٨٣-٢٨٤، وتفسير ابن كثير ١/٩٥، والدر المنثور ١/٤٥، والتفسير الصحيح ١/١٢٧.

وسوء الخلق وكل قذر وكل دنس[١]. و قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه[٢] : (مطهرة) نقية من القذر والأذى.

وفي الحديث[٣] في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ**﴾[الرحمن: ٧٠] : خيرات الأخلاق حسان الوجوه. ويروى[٤]: لسن بذربات ولا دفرات ولا فجرات ولا متطلعات، ولا متشرفات[٥] ولا متسلطات ولا مائلات ولا طوافات في الطرق، ولا يغرن ولا يؤذين.

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه[٦]: لا مرحات ولا طماحات، ولا بخرات ولا دفرات[٧] حور عين ﴿**كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ**﴾ [الصافات: ٤٩].

قال الأوزاعي[٨] : خيرات لسن بذربات اللسان ولا يغرن ولا يؤذين.

(١) هذا منظور فيه إلى كلام الزمخشري فقد قال ١/٢٦٢: «المراد بتطهير الأزواج أن طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة، وما لا يختص بهن من الأقذار والأدناس، ويجوز لمجيئه مطلقاً أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع، وطبع الأخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بأنفسهن، ومما يأخذنه من أعراق السوء، والمناصب الرديئة، والمناشئ الفاسدة، ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن».!!!

(٢) أخرجه الطبري ١/٣٩٥ (٥٣٩) من طريق علي بن أبي طلحة.

(٣) هو حديث أم سلمة تسأل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحور عزاه السيوطي في الدر المنثور (سورة الرحمن) ٦/١٦٧ إلى الطبري والطبراني وابن مردويه. وسيأتي.

وعزاه من قول قتادة إلى عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير.

(٤) في د و ع: وفي التفسير، وفي ظ: الحديث. ولم أجده حديثاً.

(٥) في ظ: مستشرفات.

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (سورة الرحمن) ٦/١٦٧ إلى ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في صفة الجنة [برقم ٣٢٠] وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

وأوله: «لكل مسلم خيرة، ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب، يدخل عليها كل يوم من الله تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك ...» وذكره نعيم بن حماد في زياداته على الزهد لابن المبارك ص٦٩ برقم (٢٣٨)، انظر بشرى المحبين بأخبار الحور العين لسعد الحمدان ص٤٨.

(٧) مرح أي أشر وبطر واختال (القاموس ص٣٠٨). وطمح أي امتد وعلا (النهاية ٣/١٣٨). والبخر: تغير ريح الفم (النهاية ١/١٠١). والدفر: النتن (النهاية ٢/١٢٤). وجاء اللفظ في ع وفي صفة الجنة لابن أبي الدنيا: «ذفرات» وله وجه قال ابن الأثير ٢/١٦١: «الذفر ـ بالتحريك ـ يقع على الطيب والكريه، ويفرق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به». وأما ما جاء في الدر المنثور: زفرات فهو هنا تحريف.

(٨) عزاه السيوطي في الدر ٦/١٦٧ إلى «الزهد» لابن المبارك [ولم أجده فيه]، وهو في الدر: «بذيات» وكلاهما صحيح فذرب لسانه: إذا كان حاد اللسان لا يبالي ما قال، والمباذاة: المفاحشة انظر النهاية ٢/١٥٦ و١/١١٠.

وفي حديث أم سلمة رضي الله تعالى عنها ـ من رواية الطبراني[١] ـ: يقلن[٢]: ألا نحن الخالدات فلا نموت أبدا، ألا ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا، ألا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا، طوبى لمن كنا له وكان لنا.

وروى الطبراني[٣] بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن أزواج أهل الجنة ليغنين/ أزواجهنَّ بأحسن أصوات، [و ٤١] ما[٤] سمعها أحد قط، إن مما يغنين: نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام [ينظرن بقرة أعيان][٥] وإن مما يغنين[٦] : نحن الخالدات فلا نمتنه ، نحن الآمنات فلا نخفنه، نحن المقيمات فلا نظعنه ».

وروى إمامنا أحمد وابن حبان والبيهقي عن أبي سعيد الخدري[٧] رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ **كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ** ﴾ [الرحمن:٥٨] قال: « تنظر إلى وجهها في خدرها[٨] أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وأنه يكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك ».

(١) رواه في المعجم الكبير ٢٣/ ٣٦٧، والأوسط ٣/ ٢٧٨ (دار الحرمين) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١١٩: « فيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي ».

(٢) سياق الحديث يشعر أن القائلات نساء الدنيا، لكن الذي دلت عليه أحاديث أخرى أن اللائي يغنين الحور العين.

(٣) في المعجم الأوسط ٥/ ١٤٩ برقم ٤٩١٧ (الحرمين)، والصغير برقم ٧٣٤ (الروض الداني ٢/ ٣٥)، وقال الهيثمي والمنذري: رجالهما رجال الصحيح انظر المجمع ١٠/ ٤١٩،و الترغيب ٤/ ٥٣٨، وفيض القدير ٢/ ٤٢٣.

(٤) « ما » ليست في المعجمين.

(٥) زيادة من المعجم الأوسط والصغير.

(٦) من قوله: نحن الخيرات إلى هنا سقط من ع.

(٧) انظر مسند أحمد ٣/ ٧٥، والإحسان ١٦/ ٤١٠، وموارد الظمآن ص٦٥٤، والبعث والنشور ص٢١٥ برقم (٣٣٩)، وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٤١٩: « رواه أحمد وأبو يعلى وإسنادهما حسن ».

(٨) هكذا العبارة هنا. وفي البعث والنشور: « تنظر إلى وجهها وهي في خدرها ». وهي في مسند أحمد: « فينظر وجهه في خدها ». وعند ابن حبان: « فينظر في خدها ».

وروى الطبراني والبيهقي[١] عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: إن المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم من تحت سبعين حلة، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء.

وروى ابن أبي الدنيا[٢] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: لو أن امرأة من نساء أهل الجنة بصقت في سبعة أبحر لكانت تلك الأبحر أحلى من العسل.

وروى البزار والطبراني عن سعيد بن عامر بن حِذْيَم رضي الله تعالى عنه[٣] قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت لملأت الأرض ريح مسك، ولأذهبت ضوء الشمس والقمر[٤]. فثبت بذلك أنهن مطهرات وأي مطهرات.

« **لطيفة** »: اختلف المفسرون في تسميتهن بالحور العين: فقال مجاهد: سميت حوراً لأنه يحار فيها الطرف، باد مخ ساقها من وراء ثيابها، فينظر الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون[٥]. وقال مكي: سمي نساء الجنة بالحور لبياضهن، ومنه قيل للدقيق: الحُوَّارى، ومنه الحواريون، لبياض ثيابهم. قال: والحور في العين هو شدة سواد

(١) قال الهيثمي ١٠/ ٤١٨: «رواه الطبراني [قلت: في الكبير ١٠/ ١٩٨-١٩٩] وسقط من إسناده رجلان» وانظر البعث والنشور ص١٩٧ برقم (٣٠٠) وأخرجه آخرون، وهو في الدر المنثور ٦/ ١٤٩ (دار المعرفة)

(٢) في صفة الجنة ص٢٠٦ برقم (٣٠٠)، وفي إسناده حفص بن عمر العدني وهو ضعيف . انظر التقريب ص٢٠٩، والحديث أخذه المؤلف من الدر المنثور ١/ ٤٦.

(٣) في د: جذيم، وفي ع: خديم، وفي أسد الغابة ٢/ ٣١١: خذيم، وفي الإصابة ٢/ ٤٨: حديم. وكله خطأ وبمثل ما هنا جاء في تاريخ الإسلام للذهبي ٣/ ٢١٤ ومجمع الزوائد ١٠/ ٤١٧ وهو الصواب، والحِذْيَم كمِنْبَر: الحاذق ،(القاموس).

(٤) قال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٤١٧: «رواه الطبراني مطولاً أطول من هذا، وقد تقدم في صدقة التطوع، ورواه البزار باختصار كثير وفيهما الحسن بن عنبسة الوراق ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، وفي بعضهم ضعف» ومن قبله قال المنذري في الترغيب ٤/ ٥٢٣: «رواه الطبراني والبزار وإسناده حسن في المتابعات».

(٥) قول مجاهد رواه الطبري والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور ٦/ ٣٢ (دار المعرفة)، ورواه البيهقي في البعث ص٢٢٠ برقم (٣٥٨)، وأورده ابن القيم في حادي الأرواح الباب (٥٣) وعقب عليه بقوله: «وهذا من الاتفاق، وليست اللفظة مشتقة من الحيرة، وأصل الحور: البياض، والتحوير: التبييض والصحيح: أن الحور مأخوذ من الحَوَر في العين، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها، فهو يتضمن الأمرين».

الحدقة مع بياض ما حولها، والعين هن الكبيرات الأعين[١] ، يقال: امرأة عيناء ورجل أعين.

«**تنبيه**»: قد ظهر مما قررناه من الأحاديث وغيرها أن الحور كالآدميات من لحم وعظم ومخ وساق وغير ذلك، وهذا أدعى للشهوة، وأقرب للذة، فإن الطباع مائلة إلى المعروف، نافرة عن غير المألوف، وقد سُئلت عن هذا فأفتيت بهذا، والله سبحانه وتعالى أعلم[٢].

* * *

ـ وأما قوله تعالى: ﴿ **وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾.

فاعلم[٣] أن مجاميع اللذات إما المسكن وإما المطعم والمشرب وإما المنكح، فوصف تعالى المسكن بقوله تعالى: ﴿ **جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾ والمطعم بقوله: ﴿ **كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا** ﴾ والمنكح بقوله: ﴿ **وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ** ﴾.

ثم هذه الأشياء إذا حصلت وقارنها خوف الزوال كان النعيم منغصاً، والعيش مكدراً[٤] فبين تعالى زوال هذا الخوف بقوله: ﴿ **وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ فدلت الآية على كمال النعيم والسرور، ومزيد النعمة والحبور، لأن الخلود هنا هو البقاء الدائم الذي لا انقطاع له[٥]

---

(١) سقط اللفظ من ع.

(٢) قبل الانتقال إلى الجملة الأخرى أحب أن أنقل ما قاله الرازي في تفسير هذه الجملة ٢/١٤٣: «قال أهل الإشارة: وهذا يدل على أنه لابد من التنبه لمسائل:

أحدها: أن المرأة إذا حاضت فالله تعالى منعك عن مباشرتها، قال الله تعالى: ﴿ قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ فإذا منعك عن مقاربتها لما عليها من النجاسة التي هي معذورة فيها، فإذا كانت الأزواج اللواتي في الجنة مطهرات فلأن يمنعك عنهن حال كونك ملوثاً بنجاسات المعاصي ـ مع أنك غير معذور فيها ـ كان أولى.

وثانيها: أن من قضى شهوته من الحلال فإنه يمنع الدخول في المسجد الذي يدخل فيه كل بر وفاجر، فمن قضى شهوته من الحرام كيف يمكن من دخول الجنة التي لا يسكنها إلا المطهرون؟ ولذلك فإن آدم لما أتى بالزلة أُخرج منها».

(٣) من هنا إلى قوله: «النعيم والسرور» من كلام الرازي في تفسيره ٢/١٣٩ (المسألة الثالثة) بتصرف يسير، وهو في اللباب لابن عادل ١/الورقة٥٩. والظاهر أن المؤلف نقله منه.

(٤) قوله: والعيش مكدراً في ب فقط وهو في تفسير المؤلف كما في حاشية د.

(٥) وقال الخفاجي في «عناية القاضي» ٢/٧٩: «... إن قوله: ﴿ وهم فيها خالدون ﴾ تكميل في غاية الحسن، ونهاية الكمال، لأن النعم وإنّ جلّت، والترفه وإن عظم، لا يتم ولا يكمل إذا تُصور زواله وانقطاعه» اهـ.

قلت: وعن هذا عبر الشاعر بقوله «وهو من شواهد شرح ابن عقيل على الألفية ١/١٥٣»:

لا طيبَ للعيشِ ما دامت منغصةً   لذاتُهُ بادكارِ المــوتِ والـهرمِ

ولا غاية لمنتهاه[١] .

وهل[٢] يطلق الخلود على ما لا نهاية له ولا انقطاع بطريق الحقيقة أو المجاز؟ قولان:

قالت المعتزلة: الخلد هو الثبات اللازم والبقاء الدائم الذي لا ينقطع. واحتجوا على ذلك بالآية وغيرها.

وقال/ ابن الخطيب: قال أصحابنا: الخلد هو الثبات الطويل سواء أدام أم لم يدم. [و ٤٢] واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا** ﴾[النساء:٥٧ وغيرها]، ولو كان التأبيد داخلاً في مفهوم الخلد لكان ذلك تكراراً[٣].

وقال بعضهم: حقيقة الخلود الدوام من وقت الابتداء. ولهذا لا يجوز أن يقال لله

وقال آخر: كما في «شرح حديث: «لبيك اللهم لبيك» لابن رجب ص٧٤»:

إنّ عيشاً يكون آخرَهُ المو ... تُ لعيشٌ مُعجلُ التنغيصِ

وقال امرؤ القيس «الديوان: ص١٢٢»:

وهل يعمن إلا سعيدٌ مخلدٌ ... قليلُ الهموم ما يبيتُ بأوجالِ

وقال المتنبي «الديوان بشرح البرقوقي ٣/٣٤١، وروح المعاني ١/٢٠٥»:

أشدُّ الغمِ عندي في سرورٍ ... تيقن عنه صاحبُهُ انتقالا

وقال بشار بن برد «الديوان ص١١٥»:

وما خيرُ عيشٍ لا يزال مُفجعاً ... بموت نَعيمٍ أو فراق حبيبِ

وقال أبو العتاهية «الديوان ص٤٩٥»:

ما عيشُ مَنْ آفته بقاؤُهُ ... نغّص عيشاً طيباً فناؤُهُ

وقال محمود الوراق «الديوان ص١٣٠».

إنَّ عيشاً إلى الممات مصيرُهُ ... لحقيقٌ ألا يدومَ سرورُهُ

وسرورٌ يكونُ آخره المو ... ت سواءٌ قليلُهُ وكثيرُهُ

وقال ابن المعتز «الديوان ص٤٦٦»:

يا طيبَ ذلك عيشاً ... لو صالحتني المنية

وفي تفسير القرطبي ٤/٦٢:

لا أرى الموت يسبق الموتَ شيءٌ ... نغص الموتُ ذا الغنى والفقيرا

(١) قوله: ولا غاية لمنتهاه في ب فقط.

(٢) من هنا إلى قوله: «تكراراً» من اللباب ١/ق٦١، وانظر تفسير الرازي ٢/١٤٣-١٤٤.

* (٣) في ب: حاشية: أقول: [؟] يمنع كونه تكراراً على هذا التقدير لاحتمال كونه لدفع توهم المجاز عن طول المكث فتأمل. كاتبه.

تعالى إنه خالد، لأنه قديم أزلي لا ابتداء له، والبقاءُ الأبدي في الجنة لأهلها[١] هو قول جميع أهل الإسلام[٢]، فقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على خلود أهل الجنة فيها أبداً، وعلى ذلك إجماع أهل السنة والجماعة.

وأجمعوا على أن عذاب الكفار لا ينقطع كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع، يدل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة خلافاً للجهمية حيث ذهبوا إلى أن الجنة والنار تفنيان ويفنى أهلهما، وخلافاً لأبي الهذيل المعتزلي وموافقيه حيث قالوا: ينقطع عذاب الكفار، وله غاية ونهاية. واحتجوا على ذلك بالمنقول والمعقول: فاحتجوا من القرآن بآيات:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ** ﴾[هود: ١٠٦-١٠٧]، فدل هذا النص على انقطاع عذابهم، لأن مدة السموات والأرض متناهية، فلزم أن تكون مدة العقاب منقطعة.

الثانية: قوله تعالى: ﴿ **إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ** ﴾[هود: ١٠٧] استثناء من مدة عذابهم، وذلك يدل على الزوال.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ **لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا** ﴾[النبأ: ٢٣] فبين تعالى أن لبثهم في العذاب لا يكون إلا أحقاباً معدودة.

وأما المعقول فوجهان:

أحدهما: أن معصية الكافر متناهية ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب ما لا نهاية له ظلم وهو على الله تعالى محال[٣].

---

(١) في ظ هنا: وفي النار لأهلها.

(٢) وفي ظ هنا: لأن الخلود هو البقاء الدائم الذي لا انقطاع له.

* (٣) في ع: إن الكفار بعضهم أثبت لله تعالى شريكاً، وبعضهم أثبت شيئاً لا يليق بشأنه تعالى، فهم قد اعتقدوا نقصاً وإثماً، وأثبتوا شيئاً منافراً له تعالى على الدوام، فيستحقون في مقابلته أن يلحق بهم شيء منافر على الدوام، حتى يكون جزاء السيئة بمثلها، والشيء الدائم هو العذاب المخلد. كذا قال بعض الفضلاء.

وفي ب: حاشية: قولهم ظلم ممنوع لأن الله تعالى يتصرف في ملكه كيف يشاء، فجميع ما يصدر عنه سبحانه إما فضل وإما عدل، وأيضاً يخلد الكافر في العذاب في مقابلة نيته، لأن نيته الدوام على الكفر ولو بقي الأبد، فجوزي بعذاب الأبد كما صرح به بعضهم، والمؤمن نيته البقاء على الإيمان كذلك فجوزي بالنعيم المؤبد فضلاً من الله ونعمة. كاتبه [الصفوري].

ثانيهما: أن العقاب ضرر خال من النفع فيكون قبيحاً[١] ، لأن ذلك النفع لا يرجع إلى الله تعالى لتعاليه عن النفع والضر، ولا إلى العبد لأنه ضرر محض، ولا إلى أهل الجنة لأنهم مشغولون بلذاتهم، فلا فائدة لهم في الالتذاذ بعقاب دائم في حق غيرهم، بل القلوب الرحيمة تتألم بذلك غاية التألم كما هو مشاهد.

وقد بينت شبههم والرد عليهم في مؤلف لطيف وسميته «توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين»[٢].

وأيضاً: فلأن أهل الجنة لو علموا بالزوال لكانوا في أشد عقوبة، وأهل النار لو علموا بالفناء لكانوا في أشد راحة، فيصير الثواب عقاباً، والعقاب ثواباً[٣]. والله سبحانه وتعالى أعلم[٤] .

خاتمة

روى الشيخان البخاري ومسلم[٥] عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا

---

* (١) في ع: بطلان هذا الكلام ظاهر جداً، لأن في كون العقاب ضرراً خالياً من النفع بالنسبة إلى أنظارنا القاصرة لا يلزم أن لا يكون له نفع وفائدة في نفس الأمر، على أن الله تعالى مالك الملك يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾. محرره.

(٢) طبع سنة (١٤١٩هـ) بتحقيق السيد خليل السبيعي، وهو ـ بدون المقدمات والتعليقات ـ في نحو (١٣) صفحة. وله ذكر في لوامع الأنوار البهية للسفاريني ٢/ ٢٣٥.

* (٣) في ع: قوله: فلأن أهل الجنة ... إلخ.. أقول: فيه نظر لأنا نعلم قطعاً أن بعض الإنسان يكون في الدنيا في نعمة ولذة مع علمه بفناء نفسه جزماً فلا يعرض له ألم وشدة، ويكون بعضهم في محنة ونقمة مع العلم بفنائها فلا يعرض له أدنى راحة ولذة، اللهم إلا أن يقال: إن الدار الآخرة محل انتباه وصفوة لا محل غفلة وكدورة، فحال الإنسان فيها لا يقاس بحاله في الدنيا، لأن قياس الشاهد على الغائب قياس مع الفارق. محرره.

(٤) واقرأ ـ إن شئت ـ رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني، وكشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار للدكتور علي بن علي الحربي اليماني، ومقدمة توقيف الفريقين، وتفسير الآلوسي ١/ ٢٠٥-٢٠٦.

(٥) صحيح البخاري ،كتاب التفسير، سورة مريم (الفتح ٨/ ٤٢٨)، ومسلم ٤/ ٢١٨٨ – ٢١٨٩ برقم (٢٨٤٩).

الموت، ويُقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت[١]. فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت فيها، ويا أهل النار خلود ولا موت فيها. ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ/وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾[مريم:٣٩] وأشار بيده إلى الدنيا. [و٤٣]

وفي لفظ للبخاري: وهم في غفلة، وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا وهم لا يؤمنون.

قوله: فيشرئبون ـ بفتح أوله وسكون المعجمة وفتح الراء بعدها تحتية مهموزة ثم موحدة مشددة ـ أي يمدون أعناقهم ويرفعون رؤوسهم للنظر.

وروى الحاكم وصححه وابن ماجه[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يؤتى بالموت في هيئة كبش أملح فيوقف على الصراط فيقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين وجلين مخافة أن يخرجوا مما هم فيه فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت. فيقال: يا أهل النار، فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا مما هم فيه، فيقال: أتعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت[٣]. فيؤمر به فيذبح على الصراط، ويقال للفريقين: خلود فيما تجدون لا موت فيها أبداً. والأحاديث في هذا كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية لمن تدبر وتأمل واستبصر، والله أسأل الوفاة على الإسلام والنظر إلى وجهه الكريم في دار السلام آمين[٤].

* * *

---

(١) من قوله: «ويقال يا أهل النار» إلى هنا ساقط من ظ.

(٢) المستدرك ١/٨٣، وسنن ابن ماجه برقم (٤٣٢٧)، وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

(٣) من قوله: «فيقال يا أهل النار» إلى هنا ساقط من ع.

(٤) تنتهي نسخة د بعد قوله: وفي لفظ للبخاري، وختامها: «نسأله سبحانه أن يجعلنا من المؤمنين الآمنين الموقنين بمنه آمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم...».

ومثل هذا في ظ ولكن جاء قوله: «قوله: فيشرئبون» إلى قوله: «والأحاديث في هذا كثيرة» بعد الختام.

ونسخة ع مثل ب إلا أن الدعاء بعد قوله: «واستبصر» مثل الدعاء في د وظ.

المصادر

١ - إتحاف السادة المتقين للزبيدي، مصورة مؤسسة التاريخ العربي، بيروت (١٤١٤هـ).

٢ - الإتقان للسيوطي تحـ :محمد أبو الفضل إبراهيم، المشهد الحسيني، ط١(١٣٨٧ هـ).

٣ - إحياء علوم الدين للغزالي، مصورة دار المعرفة، بيروت.

٤ - أسد الغابة لابن الأثير، مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥ - إرشاد ذوي العرفان لمرعي الكرمي، تحـ: مشهور سلمان، دار عمار، ط١(١٤٠٥هـ).

٦ - إرشاد العقل السليم لأبي السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط٤(١٤١٤هـ).

٧ - الأشباه والنظائر (المطبوع منسوباً لمقاتل بن سليمان وهو لهارون بن موسى)، تحـ: د. عبدالله شحاته، الهيئة المصرية للكتاب، ط٢(١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

٨ - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩ - إعراب القرآن للنحاس، تحـ: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط٢، (١٤٠٥هـ).

١٠ - الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١١(١٩٩٥م).

١١ - إعلان الحجة وإقامة البرهان على منع ما عم وفشا من استعمال عشبة الدخان لمحمد بن جعفر الكتاني، مكتبة الغزالي، دمشق، ط (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).

١٢ - أقاويل الثقات لمرعي الكرمي، تحـ: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ط١.

١٣ - اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، تحـ: د. ناصر العقل، دار المسلم، الرياض، ط ٥.

١٤ - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون للبغدادي، مصورة دار إحياء التراث العربي.

١٥ - البحر المحيط لأبي حيان، مصورة مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

١٦ - البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحـ: د. يوسف المرعشلي وآخرين، دار المعرفة، بيروت.

١٧ - بشرى المحبين بأخبار الحور العين لسعد الحمدان، دار العاصمة، الرياض، ط١(١٤١٤هـ).

١٨ - البعث والنشور للبيهقي،تحـ: عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت.

١٩ - بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها لابن أبي جمرة، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠ - البيان في إعجاز القرآن للدكتور صلاح الخالدي، دار عمار، عمان، الأردن.

٢١ - تاريخ الإسلام للذهبي، تحـ: د. عمر تدمري، دار الكتاب العربي - بيروت.

٢٢ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، مصورة دار الفكر، بيروت.

٢٣ - التبيان في تفسير القرآن للطوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٤ - التبيان في إعراب القرآن للعكبري المطبوع بعنوان (إملاء ما منّ به الرحمن) المكتبة العلمية بيروت.

٢٥ - تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان لمرعي الكرمي، تحـ: د. سليمان بن صالح الخزي، مطبعة المدني بمصر، ط١ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).

٢٦ - تحقيق البرهان في شأن الدخان الذي يشربه الناس الآن لمرعي الكرمي، تحـ: مشهور سلمان، دار السلف، الرياض، ط١(١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

٢٧ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، تحـ: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٨ – الترغيب والترهيب للمنذري، تحـ: مصطفى عمارة، دار الريان للتراث .
٢٩ – تفسير البيضاوي، مصور عن الطبعة العثمانية سنة (١٣٠٥هـ).
٣٠ – التفسير الحديث للأستاذ محمد عزة دروزة دراسة وتحليل (رسالة ماجستير لعبد الحكيم محمد الأنيس ـ جامعة بغداد ١٩٩٣م).
٣١ – تفسير الخازن، دار الفكر، بيروت، و(النسخة المحققة المقدمة في أطروحة إلى كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠٨هـ/١٤٠٩هـ).
٣٢ – تفسير الرازي، دار الفكر، بيروت (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
٣٣ – تفسير السمرقندي، تحـ: علي معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت .
٣٤ – التفسير الصحيح للدكتور حكمت بشير ياسين، دار المآثر، المدينة المنورة.
٣٥ – تفسير الطبري، تحـ: محمود وأحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة ط٢.
٣٦ – تفسير عبد الرزاق، تحـ: د. مصطفى مسلم، مكتبة الرشد، الرياض ط١.
٣٧ – تفسير القرطبي، مصور عن الطبعة المصرية بتصحيح أحمد عبد العليم البردوني.
٣٨ – تفسير ابن كثير، دار الهلال، بيروت ط١(١٩٨٦م).
٣٩ – تفسير المنار لرشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب (١٩٧٢م).
٤٠ – التقريب لابن حجر، تحـ: محمد عوامة، دار ابن حزم، بيروت، ط١(١٤٢٠هـ).
٤١ – تلخيص المستدرك للذهبي (مع المستدرك).
٤٢ – تهذيب الأسماء واللغات للنووي، مصورة دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٣ – توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين لمرعي الكرمي، تحـ: خليل السبيعي، دار ابن حزم، بيروت.
٤٤ – الجامع للترمذي، تحـ: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
٤٥ – حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم، تحـ: علي الشربجي وقاسم النوري، مؤسسة الرسالة ط٣.
٤٦ – حاشية الجرجاني على الكشاف (مع الكشاف).
٤٧ – حاشية الخفاجي على تفسير البيضاوي «عناية القاضي وكفاية الراضي»، مصورة دار صادر.
٤٨ – حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي، مصورة دار إحياء التراث العربي.
٤٩ – حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، مصورة دار الكتاب العربي، بيروت.
٥٠ – خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي، مصورة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
٥١ – الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تحـ: د. أحمد الخراط، دار القلم.
٥٢ – الدر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، ط الأنوار المحمدية بالقاهرة ودار الكتب العلمية ودار المعرفة .
٥٣ – دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر لمرعي الكرمي، تحـ: د. عبد الله الغفيلي، دار المسير، الرياض، ط١(١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
٥٤ – ديوان ابن المعتز (ت: ٢٩٦هـ)، دار صادر، بيروت.
٥٥ – ديوان أبي العتاهية، دار صادر، بيروت.
٥٦ – ديوان امرئ القيس بشرح د. عمر الطباع، دار القلم، بيروت.

٥٧ – ديوان بشار بن برد، شرح مهدي محمد ناصر الدين دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ .

٥٨ – ديوان المتنبي بشرح البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).

٥٩ – ديوان محمود الوراق شاعر الحكمة والموعظة، جمع ودراسة وتحقيق أ.د: وليد قصاب، مطابع البيان، دبي، ط١ (١٤١٢هـ/ ١٩٩١هـ).

٦٠ – روح المعاني للآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤(١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

٦١ – زاد المسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت ط٤(١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

٦٢ – الزهد والرقائق لابن المبارك، تحـ:أحمد فريد، دار المعراج، الرياض، ط١ (١٤١٥هـ).

٦٣ – السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لابن حميد، تحـ: بكر أبو زيد، ود. عبدالرحمن العثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

٦٤ – سنن ابن ماجه، بترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٥ – سنن النسائي، بعناية عبدالفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٤ .

٦٦ – سير أعلام النبلاء للذهبي، تحـ: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٦٧ – شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحـ: د. محمود مصطفى حلاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

٦٨ – شرح حديث: «لبيك اللهم لبيك» لابن رجب الحنبلي البغدادي، تحـ: د. الوليد آل فريان، دار عالم الفوائد، مكة، ط١ (١٤١٧هـ).

٦٩ – شرح صحيح مسلم للنووي، تحـ: خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١.

٧٠ – شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية، قدم له وعرف به حسنين محمد مخلوف، دار الكتب الإسلامية، القاهرة.

٧١ – شرح المواقف للجرجاني، مطبعة السعادة، القاهرة (١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م).

٧٢ – شعب الإيمان للبيهقي، تحـ: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ .

٧٣ – الصبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات لجميل العظم، تحـ: رمزي دمشقية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١ (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

٧٤ – صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحـ: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ط٣ .

٧٥ – صحيح البخاري (مع فتح الباري) السلفية.

٧٦ – صحيح مسلم، بترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٣هـ).

٧٧ – صفة الجنة لابن أبي الدنيا، تحـ: عمرو عبدالمنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ط١ .

٧٨ – صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني، تحـ: علي رضا عبدالله، دار المأمون للتراث، ط١ .

٧٩ – طبقات المفسرين للأدنه وي، تحـ: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

٨٠ – طبقات المفسرين للداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨١ – العلماء العزاب لأبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٤ (١٤١٦هـ).

٨٢ – الفارق بين المصنف والسارق (ضمن شرح مقامات جلال الدين السيوطي) حققها وشرحها سمير الدروبي، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤٠٩هـ).
٨٣ – غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح لمرعي الكرمي، تحـ: بسام الجابي، دار ابن حزم، بيروت، ط١.
٨٤ – فتح الباري لابن حجر، السلفية.
٨٥ – الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير البيضاوي للمناوي، تحـ: أحمد مجتبى بن نذير عالم، دار العاصمة، الرياض، ط١ (١٤٠٩هـ).
٨٦ – الفرق بين الفرق للبغدادي، تحـ: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
٨٧ – الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، تحـ: د. محمد إبراهيم نصر، ود. عبدالرحمن عميرة، شركة عكاظ بجدة، ط١ (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
٨٨ – الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (قسم التفسير) صادر عن مؤسسة آل البيت، عمان، مطابع الجمعية التعاونية (١٩٨٩م).
٨٩ – فيض القدير للمناوي، مصورة دار الفكر، بيروت.
٩٠ – القاموس المحيط للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٤ (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
٩١ – قانون التأويل لابن العربي، تحـ: محمد السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢.
٩٢ – القراءات الشاذة لابن خالويه، مصورة دار الكندي، إربد الأردن.
٩٣ – القواعد لابن رجب الحنبلي، مكتبة الباز، مكة، ط١ (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).
٩٤ – قوت القلوب لأبي طالب المكي، مصورة مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة.
٩٥ – الكشاف للزمخشري، البابي الحلبي، القاهرة (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).
٩٦ – كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي، تحـ: الأعظمي، مؤسسة الرسالة، ط٢.
٩٧ – كشف الظنون للحاج خليفة، مصورة مؤسسة التاريخ العربي.
٩٨ – الكليات للكفوي، تحـ: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط٢.
٩٩ – الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية لمرعي الكرمي، تحـ: نجم عبدالرحمن خلف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١ (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
١٠٠ – الكوكب الأجوج في أحكام الملائكة والجن والشياطين ويأجوج ومأجوج لعلوي بن أحمد السقاف، مصورة عن طبعة البابي الحلبي.
١٠١ – اللامات للهروي، تحـ: د. يحيى علوان حسون، مركز عبادي، صنعاء، ط٢.
١٠٢ – اللامات لأحمد بن فارس، تحـ: د. شاكر الفحام (فصلة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٤م٤٨)، مطبعة جامعة دمشق (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
١٠٣ – اللامات للزجاجي، تحـ: د. مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط٢ (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م).
١٠٤ – لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١ (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).
١٠٥ – مجمع الزوائد للهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٠٦ – مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبدالرحمن العاصمي (د.م.ت).

١٠٧ - المحرر الوجيز لابن عطية، تحـ: الرحالي الفاروق وآخرين، الدوحة، ط١.
١٠٨ - المحلى لابن حزم، دار الفكر، بيروت.
١٠٩ - مختصر طبقات الحنابلة للشطي، دراسة فواز الزمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت.
١١٠ - المختصر في علم التاريخ للكافيجي، تحـ: د. محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، ط١ (١٤١٠هـ).
١١١ - المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لابن بدران، مؤسسة دار العلوم، بيروت.
١١٢ - مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب لمرعي الكرمي، تحـ: د. نجم عبدالرحمن خلف، مكتبة الرشد، الرياض، ط١ (١٤١١هـ/١٩٩٠م).
١١٣ - المستدرك للحاكم، مصورة دار الفكر، بيروت.
١١٤ - مسند أحمد، مصور عن الطبعة المصرية الأولى.
١١٥ - مسند الروياني، تحـ: أيمن علي، مؤسسة قرطبة، ط١ (١٤١٦هـ).
١١٦ - مسند الطيالسي، مصورة دار المعرفة، بيروت.
١١٧ - مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه للبوصيري، تحـ: موسى محمد علي وعزت علي عطية، دار الكتب الإسلامية ط١ (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
١١٨ - المطالب العالية لابن حجر، تحـ: الأعظمي، دار المعرفة، بيروت.
١١٩ - معالم التنزيل للبغوي، تحـ: محمد النمر وعثمان ضميرية وسليمان الحرش، دار طيبة، الرياض.
١٢٠ - معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحـ: د. عبدالجليل شلبي، دار الحديث بالقاهرة، ط٢.
١٢١ - معاني القرآن للفراء، تحـ: أحمد نجاتي ومحمد علي النجار، مصورة دار السرور (د.ت).
١٢٢ - معاني القرآن للنحاس، تحـ: محمد علي الصابوني، شركة مكة، مكة، ط١.
١٢٣ - المعجم الأوسط للطبراني تحـ: محمود الطحان، دار المعارف، الرياض، ط١ و تحـ: طارق عوض الله وعبدالمحسن الحسيني، القاهرة.
١٢٤ - معجم البلدان لياقوت، دار صادر، بيروت.
١٢٥ - المعجم الصغير للطبراني (الروض الداني) تحـ: محمد شكور محمود، المكتب الإسلامي بيروت.
١٢٦ - معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحـ: عبدالسلام هارون، البابي الحلبي، ط٣ (١٤٠٥هـ).
١٢٧ - معجم القراءات القرآنية للدكتور أحمد مختار عمر والدكتور عبدالعال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ط٢ (١٩٩٧م).
١٢٨ - المعجم الكبير للطبراني، تحـ: حمدي السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٢٩ - معجم المفسرين لعادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط٣ (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م).
١٣٠ - معجم المؤلفين لكحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١ (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
١٣١ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (١٩٩٢م).

١٣٢ – المقاصد الحسنة للسخاوي، مصورة دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ (١٤٠٧هـ).

١٣٣ – مناهل العرفان للزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٩٩٦م).

١٣٤ – المنهاج في شعب الإيمان للحليمي، تحـ: حلمي محمد فودة، دار الفكر، بيروت، ط١.

١٣٥ – موارد الظمآن للهيثمي، تحـ: محمد عبدالرزاق حمزة، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٦ – النعت الأكمل للغزي، تحـ: محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة، دار الفكر، دمشق.

١٣٧ – نفحة الريحانة للمحبي، تحـ : عبدالفتاح محمد الحلو، البابي الحلبي، القاهرة.

١٣٨ – النهاية لابن الأثير، تحـ: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٣٩ – النهر الماد لأبي حيان (مع البحر المحيط).

١٤٠ – هدية العارفين للبغدادي، مصورة دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤١ – الوسيط للواحدي، تحـ: عادل عبدالموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ .

المصادر المخطوطة:

١٤٢ – اللباب في علوم الكتاب لابن عادل، نسخة الأحمدية بحلب.

١٤٣ – شرح العضدية للجلال الدواني وعليه حاشية لعبد الكريم الدبان التكريتي «مخطوط».

المجلات:

١٤٤ – مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (١٧) سنة ١٤١٧هـ.

* * *